مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥م

الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل وآثارها الحضارية في العصر الإسلامي في الفترة (٢١- ٩٢٣هـ/ ٦٤٢- ١٥١٧م).

د/ محمد خليفة ركابي حمد الله (*)

الملخص:

تسعى هذه الدراسة للتركيز على الطرق والمعابر الرئيسة التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر حتى نهاية العصر المملوكي، حيث مثلت تلك الطرق والمعابر الناقل الحضاري وذراع التواصل الاقتصادي بين البلدين منذ فجر التاريخ؛ مما جعلها تلعب دورًا حيويًا في تبادل الثقافات والسلع. وبما أن مصر كانت في العصر الإسلامي ولاتزال المركز الحضاري ومنارة إشعاع الفكر العربي الإسلامي بالقارة الإفريقية، حيث كان لها تأثير جليّ في محيطها الإفريقي والعالمي، ولأن وادي النيل في مصر امتدادٌ طبيعيٌ لبلاد سودان وادي النيل، فأن ذلك جعل أمر الاتصال الحضاري بين طرفيه أمرًا مفروغًا منه، وما كان ليتم ذلك بدون الطرق والمعابر التي لم تكن مجرد وسيلة للانتقال فحسب، بل كانت شرايين نقلت الثقافة والمعرفة والثروات بين شعوب البلدين.

ولإبراز أثر الطرق والمعابر في انتقال الحضارة العربية الإسلامية من مصر إلى سودان وادي النيل، لابد من تقديم إلماعة جغرافية تحدد البلاد التي عُرفت بسودان وادي النيل في العصر الإسلامي، وما حوته من أقاليم سياسية ذات طبائع عرقية وأيدولوجية وثقافية، والتي تمثلت في ممالك النوبة المسيحية وقبائل البُجة الوثنية، ونظرًا لخصائص البيئة الطبيعية والعوامل الاقتصادية التي ميزت كلاً من الإقليمين عن الآخر، كان من الأحرى عرض مسارات شبكات الطرق والمعابر التي كانت تربطهما بالبلاد المصرية في كل إقليم على حدة؛ لفك الالتباس في اتجاهات ومسارات هذه الطرق والمعابر، كما كان لتفاعل حركة النشاط عليها في العصر الإسلامي دورٌ مهمٌ في تعزيز الروابط الحضارية بين البلدين، والتي انعكست أثارها على بلاد سودان وادي النيل في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

مما سبق هذه الدراسة تحوي بعد المقدمة العناصر الأساسية الآتية:

١- إلماعة جغرافية عن بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي.

٢- مسارات الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي.

٣- الآثار الحضارية للطرق والمعابر في بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي.

الكلمات الدالة: الطرق والمعابر، مصر، سودان وادي النيل، العصر الإسلامي، الآثار الحضارية.

(*) مدرس التاريخ الإسلامي بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل جامعة أسوان

Roads and crossings between Egypt and Sudan and the Nile Valley and its cultural monuments In the Islamic era in the period (21-923 Ah/ 642-1517 ad).

Abstract;

This study seeks to focus on the main roads and crossings that connected Egypt and the country of Sudan and the Nile Valley in the Islamic era from the Arab-Islamic conquest of Egypt until the end of the Mamluk era, as these roads and crossings represented the cultural carrier and the arm of economic communication between the two countries since the dawn of history, which made them play a vital role in the exchange of cultures and goods. Since Egypt was in the Islamic era and is still the center of civilization and the beacon of radiation of Arab-Islamic Thought on the African continent, where it had a clear influence in its African and global environment, and because the Nile Valley in Egypt is a natural extension of the Sudan and the Nile Valley, this made the matter of civilizational communication between the two sides a matter of course, and this would not have happened without roads and crossings that were not just a means of transportation, but were arteries that transferred culture, knowledge and wealth between the peoples of the two countries.

In order to highlight the impact of roads and crossings in the transition of the Arab-Islamic civilization from Egypt to the Sudan of the Nile Valley, it is necessary to provide a geographical overview that defines the country known as Sudan of the Nile Valley in the Islamic era, and its political territories with ethnic, ideological and cultural natures, which were represented by the Christian kingdoms of Nubia and the pagan Beja tribes, and given the characteristics of the natural environment and the economic factors that distinguished each of the two regions from the other, it was in the directions and paths of these roads are crossings. The interaction of the activism movement in the Islamic era also played an important role in strengthening the civilizational ties between the two countries, whose effects on the Sudan and the Nile Valley were reflected in various aspects of social, economic and cultural life.

From the above, this study contains after the introduction the following basic elements:

1-geographical knowledge about the country of Sudan and the Nile Valley in the Islamic era.

2-the routes of roads and crossings between Egypt and the country of Sudan and the Nile Valley in the Islamic era.

3-civilizational monuments of roads and crossings in the Sudan and the Nile Valley in the Islamic era. Keywords: roads and crossings, Egypt, Sudan, Nile Valley, Islamic era, cultural monuments.

Key words: roads and crossings, Egypt, Sudan, Nile Valley, Islamic era, cultural monuments.

مقدمة:

حرصت مصر عبر العصور التاريخية على توطيد علاقاتها الرامية الى تعزيز التواصل الحضاري مع جيرانها من البلدان والشعوب في جميع جوانب ومجالات الحياة، ولا سيما المجال الاقتصادي، والذي تزايدت أهميته في العصر الإسلامي؛ خاصة بعدما تعرضت تجارة بلاد المشرق الإسلامي إلى نكبات وخراب وغياب السلطة؛ نتيجة لتعرض تلك البلاد لهجمات الصليبيين والمغول آنذاك(١).

وبما أن بلاد سودان وادي النيل(٢) تمثل امتدادًا طبيعيًا لمصر جهة الجنوب، وحَّد بينهما حوض نهر النيل، فكان لكل حدث أو إجراء في مصر صداه في هذه البلاد، ترتب عليه وجود علاقات حضارية متجذرة ضاربة في عمق التاريخ بين القطرين المصري والسوداني، لذلك عاش البلدان تاريخًا مشتركًا منذ أقدم الأزمنة حتى الآن بقدر كبير من الامتزاج والتضافر الحضاري بين أفراد شعب النيل العربي الواحد.

والباحث في تاريخ العلاقات الحضارية بين مصر وسودان وادي النيل ولاسيما العلاقات الاقتصادية التجارية يجدها موغلة في القدم، فمنذ عصر الدولة المصرية القديمة ارتبطت مصر بسودان وادي النيل بمقومات اقتصادية تعد رمزًا للتكامل الحضاري بين البلدين، حيث دلت الآثار والنقوش التاريخية في كل من البلدين على العلاقات الاقتصادية المشتركة(٣)، وقد ساعدت العوامل الطبيعية التي ربطت بينهما، والمتمثلة في موقع مصر الجغرافي الفريد الذي كان له الأثر الكبير في قيامها بدور مهم في التجارة العالمية منذ أقدم العصور، حيث مثلت مصر سوقًا رئيسًا للتبادل التجاري بين إفريقيا وآسيا وأوروبا(٤). فمصر إفريقية آسيوية بالموضع، متوسطية بالموقع، بيد أنها تقترب من

(١) للمزيد عن الوضع الاقتصادي والتجاري لبلاد المشرق الإسلامي نتيجة لتعرضت البلاد لهجمات الصليبيين والمغول يُراجع، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م، جـ٢، ص ٤٥١.؛ حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، ط دار الفكر، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٢٩٧.

(٢) عَرفت البلاد الواقعة جنوب مصر في الدراسات التاريخية باسم سودان وادي النيل وتارة باسم السودان الشرقي، وهي التي تقع حاليًا ضمن النطاق السياسي والإداري لجنوب وشرق الدولة المصرية، وشمال وشرق دولة السودان، (الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ط١، مطبعة أبو فاضل، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٣).

(٣) ومن ذلك الشواهد نقوش مقابر كبار موظفي الأسرة السادسة مثل "حرخوب"، الذي تحدث في رحلته الثالثة عقب عودته من بلاد سودان وادي النيل، ومعه ثلاثمائة حمار محملة بحاصلات هذه البلاد. وللمزيد عن تفاصيل هذه الرحلة يُراجع:

J. H. Breasted: A History of Egypt, London 1925. pp. 336.

(٤) مصطفى كامل عبده: حكاية مصر وبلاد السودان في العصر العثماني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٣.

أوروبا، فهي الأرض الوحيدة التي يجتمع فيها البحران المتوسط والأحمر، كما أنها البلد الوحيد الذي يلتقي فيه النيل بالمتوسط، ومن ثم أصبحت متوسطة الدنيا، وقِبلة العالم، وصُرَّة المعمورة، وملتقى الشرق والغرب، ومجمع الجنوب والشمال(١).

ولكي تبرز قيمة هذه البلاد، كان لابد أن تتواصل فيما بينها جميع جهاتها، أو تمتد بينها صلات الحضارة من تجارة وسياسة وثقافة(٢). وأرض إفريقيا عامة لم تكن غريبة على المصريين منذ أقدم العصور، فللمصريين الفضل في إخراج البلاد الإفريقية عن عزلتها منذ فترات ما قبل التاريخ، وذلك من خلال صلاتهم التجارية بها، والدليل على ذلك العثور على أحجار ومواد في المقابر المصرية القديمة لا توجد في مصر؛ مما يدل على نشأة علاقات تجارية بين مصر والبلاد الإفريقية في العصور القديمة(٣).

أما ارتباط مصر ببلاد سودان وادي النيل خاصة، والذي كان من أسبابه الرئيسة التي جعلت مصر تهتم بها اهتمامًا كبيرًا؛ هو موقع تلك البلاد المهم، حيث تعتبر بلاد سودان وادي النيل أرض القوافل التي تربط مصر بشرق القارة الإفريقية وغربها وسطها(٤). وتجارة القوافل قديمة في تاريخ مصر مع هذه البلاد، فقد جلبت الطرق والمعابر إلى مصر الكثير من تجارة السلع النفيسة مثل ريش النعام، وسن الفيل، والأبنوس، والصمغ، والزيت، وجلود الحيوانات، والحيوانات المتوحشة، إلى جانب الرقيق الذي كان يشكل أهم السلع على الإطلاق لما له من رواج في بلاد الشرق(٥).

علاوة على ذلك فإن تلك البلاد مثلت امتدادًا طبيعيًا لمصر، يظهر في وحدة حوض وادي النيل، وساحل البحر الأحمر، والصحراء الشرقية، والصحراء الكبرى الغربية، مما جعلها عوامل اتصال وترابط طبيعي، رغم وجود حدود وفواصل سياسية ميزت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل عبر التاريخ، إلا أنها مثلت نقاط تماس وترابطًا حضاريًا بين البلدين؛ نظرًا لتجاوز تلك الحدود عدة أقاليم حضارية قامت في كلتا البلدين في آن واحد، فقد كانت أرضها شاهدة على نشاط بارز ومتنوع في شتى مجالات الحياة البشرية، خاصة النشاط الاقتصادي القائم على التبادل التجاري؛ وذلك لما حظيت

(١) جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م، جـ٢، ص٣٥٦، ٧٨٤ وما بعدها.

(٢) سليمان أحمد حزين: حضارة مصر أرض الكنانة، ط١، دار الشروق، القاهرة،١٩٩١م، ص٢٨.

(٣) عُثر في عدد من المقابر المصرية القديمة على مجموعة من المعادن والمواد، التي لا توجد في مصر، مثل اللازورد، وحجر الأويسيديان، والعاج (للمزيد يُراجع، جون ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٦٨).

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص٤.

(٥) نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصري الأول١٨٢٠-١٨٢١م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة،١٩٥٧م، ص٤٤٤.

به هذه الاقاليم من مقومات جغرافية طبيعية، وظروف مناخية ملائمة، وموارد مائية مناسبة، جعلت منها بيئة صالحة لقيام ونشأة عدة مراكز حضارية في جهاتها(١).

وما كان ليتم التواصل الحضاري بين جهات تلك الأقاليم في البلدين بدون شبكة طرق ومعابر تربط فيما بينهما، لذلك شهدت الحدود بين البلدين عدة شبكات من مسارات الطرق والمعابر المتنوعة عبر العصور التاريخية، امتدت مسالكها على الضفاف الشرقية لنهر النيل، وعبر الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر من جهة، وضفاف النيل الغربية وعبر الصحراء الكبرى الغربية من جهة أخرى، والتي زادت قيمتها في العصر الإسلامي، مما ترتب عليها قيام أكبر الأسواق التي نشطت بعمليات التبادل السلعي والثقافي في مصر وبلاد سودان وادي النيل آنذاك(٢).

ورغم القيمة التاريخية المهمة لدراسة مسارات ومسالك الطرق والمعابر التي ربطت مصر ببلاد السودان عامة وسودان وادي النيل خاصة، وما ترتب عليها من وآثار حضارية في العصر الإسلامي، إلا أنها لم تحظ باهتمام الدراسات التاريخية في هذا العصر مقارنة بدراستها في العصور القديمة والحديثة، في حين أن "ابن خلدون" قد تنبه لقيمة تلك الطرق والمعابر الحضارية في بلاد السودان منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي خلال حديثه عن الاحتكار فقال:" نقل السّلع من البلد البعيد المسافة، أو في شدّة الخطر في الطّرقات، يكون أكثر فائدة للتّجّار وأعظم أرباحًا، وأكفل بحوالة الأسواق؛ لأنّ السّلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدّة الغرر في طريقها، فيقلّ حاملوها ويعزّ وجودها، وإذا قلّت وعزّت غلت أثمانها، وأمّا إذا كان البلد قريب المسافة والطّريق سابل بالأمن، فإنّه حينئذ يكثر ناقلوها، فتكثر وترخص أثمانها، ولهذا تجد التّجّار الّذين يولعون بالدّخول إلى بلاد السّودان أرفه النّاس وأكثرهم أموالاً؛ لبعد طريقهم ومشقّته واعتراض المفازة الصّعبة المخطرة بالخوف والعطش"(٣).

وقد يرجع عدم اكتراث اهتمام الباحثين إلى دراسة الطرق والمعابر في بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي؛ إلى أن دراسة مسارات ومسالك الطرق التي ربطت بين البلدين حينئذ، توزعت بين حدود أقاليم وممالك سياسية متباينة، نشب فيما بينها وبين سلطة الحكم الإسلامية في مصر صراعات سياسية عنيفة ارتكزت على اختلافات عرقية وإيديولوجية، مما جعل دراستها ستوجب معرفة نطاق تلك الأقاليم وحدودها السياسية في كل إقليم على حدة.

---

(١) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي: السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، دار الرائد، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٢٨.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٤٥.

(٣) ابن خلدون: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، جـ١، ص٤٩٧.

وانطلاقًا مما سبق كان من دواعي اهتمامي لعرض ثوابت تاريخية ورؤى حقيقية تبرز أهمية شبكات الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي؛ هو دورها التاريخي الذي أسهم في نشأة الحضارة العربية الإسلامية في تلك البلاد، خاصة في الأطراف الجنوبية لمصر والجهات الشمالية منها؛ ولبيان ذلك وجب أولاً تقديم إلماعة جغرافية عن تلك البلاد وأقاليمها في العصر الإسلامي؛ وذلك من خلال طرح تاريخي وجغرافي أكثر قربًا للواقع، يحدد اتجاهات ومسارات تلك الطرق والمعابر التي ربطت بين البلدين آنذاك.

١- إلماعة جغرافية عن بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي:

السودان اسم مستمد من العربية، وأول من أطلقه العرب في مصنفاتهم الأدبية والجغرافية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد استعملوه أول الأمر للدلالة (الإثنية) مستوحين هذه التسمية من لون بشرة السكان، ليشمل كل بلاد السود وذوي البشرة الداكنة في الأقاليم التي كانت معروفة لديهم حينئذ، من شعوب العالم القديم في إفريقيا وشبه جزيرة الهند، تمييزًا لهم عن بلاد البيض والحمر، بعدما جمعوهم بإضافة ألفًا ونونًا لتصير السودان والبيضان والحمران(١).

بيد أنه مع مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي صار مسمى السودان في المصنفات العربية يحمل دلالة (جغرافية)، فبات يُطلق على البلاد والشعوب الإفريقية دون سواهم، مستبعدين من ذلك البلاد والشعوب الهندية، ومنذ ذلك الحين ترسخ اسم السودان في كتب المؤرخين والرَّحالة والجغرافيين لا يخرج في معطاه الجغرافي عن نطاق إفريقيا، ولا يُطلق إلا على الشعوب التي تقطن بها، وقد ظل يُتداول هذا المسمى بذلك المُعطى وإن كان بتفوات حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، والذي كان في مجمله يحدد إقليم بلاد السودان بأنه يضم المنطقة العريضة التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى، والممتدة من المحيط الأطلنطي غربًا إلى هضبة الحبشة على البحر الأحمر شرقًا، ومن جنوب الصحراء الكبرى شمالاً إلى الغابات الاستوائية جنوبًا(٢).

---

(١) الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، جـ١، ص٢١٠.؛ وأيضًا كتاب: القول في البغال، تحقيق شارل بلاَّ، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٢١.؛ اليعقوبي: البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٨٣.؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، دار صادر بيروت، أفست ليدن، ١٨٨٩م، ص٩٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٥م، جـ١، ص١٢٧، جـ٢، ص٥ وما بعدها.؛ الإصطخري: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م، ص ٩- ١٠.؛ .؛ ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م. ص١١٦- ١١٧.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، بيروت ١٩٣٨م. ص٩- ١٠.؛ البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٢م، جـ١، ص٣٢٠ وما بعدها، جـ٢، ٨٦٨ وما بعدها.؛ الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة

والواضح أن هذا المعطى الجغرافي لإقليم بلاد السودان عند هؤلاء المؤرخين والرَّحالة والجغرافيين كان يُنظر إليه على أنه إقليمٌ واحدٌ من ناحية الجنس خلافًا للون البشرة، يضم جميع البلاد والشعوب التي نشأت على حوضي نهر النيل ونهر النيجر(١)، والبَيِّن من هذا الربط الجغرافي لبلاد شعوب حوضي النهرين؛ هو الاعتقاد السائد واللبس الجغرافي الذي كان لديهم آنذاك، والمتمثل في كلا النهرين يربطهما نظام نهري واحد، وأن نهر النيجر هو امتداد مائي لنهر النيل أو جزء منه، حتى باتوا يطلقون عليه (نيل السودان).

الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، جـ١، ص١١٩.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ، جـ١، ص١٧.؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، جـ ١، ص٢٩.؛ ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق قرنيط خينيس، تطوان، المغرب، ١٩٥٨م، ص٢٤؛ وأيضًا كتابه: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٧٠م، ص٩٠.؛ القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ط دار صادر، بيروت،١٩٦٠م، ص ٢٤.؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، جـ١، ص٦.؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ، جـ١، ص ٩٥.؛ ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م. ص١٦، ١٢٤.؛ العُمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، جـ٥، ص٦٣.؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٢.؛ لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق بوزياني الدراجي، ط١، دار الأمل للدراسات، الجزائر، ٢٠٠٩م، جـ١، ص٦٥٨، ٦٧٩، جـ٤، ٤٠.؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبدالمنعم العريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، جـ٢، ص٧٠٣ وما بعدها.؛ ابن خلدون: العِبَر وديوان المبتدأ، جـ١، ص٦٩.؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ ٥، ص ٢٦٣.

(١) يُعد نهر النيجر شريان حياة والنهر الرئيسي لمنطقة غرب إفريقيا، وله دور اقتصادي وبيئي كبير، وهو ثالث أطول نهر في إفريقيا بعد نهر النيل ونهر الكونغو، حيث يبلغ طوله حوالي ٤,١٨٠ كيلومترًا، ينبع من مرتفعات سيراليون عند سفوح جبال لوما (Loma)، حيث يخترق أراضي ستة دول إفريقية، حيث يجري شمالاً في نيجيريا، ثم ينعطف غربًا في بنين، فينعطف بعدها انعطافة واسعة جهة تخوم الصحراء، في النيجر ومالي، ثم يغير اتجاهه في مالي جهة الجنوب الغربي إلى أن يصب في خليج غينيا بالمحيط الأطلنطي (عبدالقادر مصطفى المحيشي وأخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط١، الدار الجماهيرية، ليبيا، ٢٠٠٠م، ص٦٠، ٦٢.؛ هكار أوغوسطان: مونوغرافية تمبوكتو، ترجمة زوليخة بت رمضان وحسن أميلي، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ٢٠١٧م، ص٣٣)، وقد شهدت ضفاف نهر النيجر قيام عدة ممالك وإمبراطوريات إسلامية مهمة في غرب إفريقيا، حيث لعب دورًا حيويًا في التجارة والثقافة ونشر الإسلام، ومن أبرز هذه الممالك الإسلامية مملكة غانة (كانت قائمة في القرن ٣- ٧هـ/ ٩- ١٣م)، ومملكة مالي(٦٢٨- ٨٤١هـ/ ١٢٣٠- ١٤٦٤م)، ومملكة صُنغي (٨٤٢- ١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤- ١٥١٩م) للمزيد عن هذه الممالك (يُراجع، أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي ١٢٣٠م-١٤٣٠م، ط١، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، ١٩٩٩م).

وبالرغم من أنهم اعتمدوا على الملاحظة والمباشرة في وصفهم لمجرى نهر النيل بمصر، وأقروا بأنه يأتي من بلاد النوبة جنوبًا، إلا أنهم بالنسبة لباقي المجرى اعتمدوا في وصفهم على بعض التصورات القديمة التي دونها الجغرافيون اليونانيون القدامى عن مجرى النيل ومنشأه، والتي تضمنت إشارات عن وجود منابع النيل في موريتانيا، وأنه يرتبط بشبكة نهرية في الجزء الغربي من إفريقيا(١).

وقد وجدت تلك التصورات صدىً في بعض كتبهم منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فوصف "ابن الفقيه" منشأ النيل بأنه يخرج من ناحية غانة(٢) بغرب إفريقيا(٣). وتُعد أقدم إشارة اعتبرت أن النيل يجري في غرب إفريقيا، ما ذكره "ابن سليم الأسواني"(٤) حيث أطلق على نهر النيجر اسم النيل حين قال:" وقد سألت من طَرَق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم"(٥)، ثم تلاه "البكري" مقتفيًا هذا عندما أشار إلى نهري النيجر والسنغال(٦) باسم النيل، دون أن يُميِّز في ملاحظاته

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مراجعة حسن حبشي وآخرون، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، ١٩٩٨م، جـ٣٢، ص ١٠٠١٥.

(٢) غانة: بفتح الغين المعجمة، وألف ثم نون مفتوحة، وهاء في آخرها – هي بلد بأرض السودان، وليست، غانا الحديثة التي تحمل هذا الاسم حاليًا، إذ أن غانا الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب، ثم تسمت باسم غانا تيمنًا بها؛ فهي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوبي غانة القديمة، أما موقع غانة القديمة فهو محل خلاف، وقد ورد في المصادر أنها مدينتان على ضفتي نيلها إحداهما يسكنها المسلمون، والثانية يسكنها الكفار (البكري: المسالك والممالك، جـ٢، ص ٨٧١.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص ١٩) ويرجح الباحثون أنها كانت تقع ضمن أراضي جمهورية مالي الحديثة، وهي على طريق القوافل الغربي القادم من مراكش، والمكان الصحيح يبعد عن مدينة تتبكت بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي منها، وعلى بعد نحو مائتي ميل شمالي باماكو عاصمة جمهورية مالي الحديثة، للمزيد حول دولة غانة في عهدها الإسلامي يُراجع (إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة،١٩٧٠م، ص٣٠ –٣٣؛ وكذلك حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولـة الفولاني، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩١م، ص١١١).

(٣) مختصر كتاب البلدان، ص١٣٠.

(٤) ابن سليم الأسوانيّ: هو عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني، مؤرخ مصري عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، اشتهر بمؤرخ النوبة لتصنيفه كتاب (أخبار النوبة والمَقُرَّة وعلوة والبُجة والنيل ومن عليه ومن قرب منه)، الذي يُعد من أهم المصادر التاريخية عن بلاد النوبة في عصره، حيث يحتوي تفاصيل فريدة عن تلك البلاد، وقد صنفه واهداه للخليفة الفاطمي العزيز بالله، عقب عودته من البعثة التي أوفده إليها جوهر الصقلي إلى ملك النوبة جرجس الثاني ليعرض عليه الإسلام وجمع متأخرات البقط المقرر، وقد فُقد هذا الكتاب، نقل عنه المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار) الكثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن بلاد النوبة المسيحية (المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، جـ٤، ص٣١٧– ٣١٨).

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٥م، جـ١، ص٥٢٢.

(٦) نهر السنغال: هو أحد الأنهار في منطقة غرب إفريقيا، حيث يصل طوله إلى ١٧٩٠ كم من منبعه في جبال فوتا جالون Fouta-Djalon في غينيا إلى مصبه في المحيط الأطلنطي بالقرب من مدينة سانت لويس Saint Louis، يمر خلال رحلته

بين النهرين(١). وزاد على ذلك "الإدريسي" في تصوره واعتبر أن نيل السودان يرتبط بنيل مصر في نظام نهري واحد، بعدما يخرج النهران من منبع واحد، يتجه أحدهما جهة الشمال وهو نيل بلاد النوبة وبلاد أرض مصر، والأخر يمر جهة المغرب وهو نيل بلاد السودان(٢).

وقد تبع هذا الجغرافيون والرَّحالة والمؤرخون الذين تلوا "الإدريسي" نفس اللبس، وأصبحوا ينظرون إلى النيل أنه سيد الأنهار الإفريقية والمتحكم فيها(٣)، بعدما يخرج من بحيرة كبيرة تسمى(كوري) أو (كورا)، فيتفرع إلى ثلاثة أنهار، هم نيل السودان المتجه غربًا، ونيل مصر المتجه شمالاً، والثالث الذي يجرى شرقًا بتجاه الصومال(٤).

وفي واقع الأمر نثمن لهؤلاء الجغرافيين والرَّحالة والمؤرخين المسلمين الذين حاولوا قدر جهدهم الكشف عن منابع النيل في العصور الاسلامية، وبتوقف محاولاتهم تجمدت هذه الجهود إلى العصر الحديث، فقد ظلت منابع النيل لغزًا لم يُمَط اللثام عنه إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، على يد بعض الرَّحالة والمستكشفين الأوروبيين أمثال: بروس وسبيك وجرانت وصموئيل بيكر(٥). ولقد استفاد هؤلاء الرجال دون شك، من جهود المستكشفين المسلمين فساروا على دربهم، كما استفادوا من التسهيلات التي قدمتها لهم الحكومات المصرية في عهد محمد على باشا وابنه إسماعيل وسط أدغال إفريقيا، من مواصلات حديثة متقدمة وغيرها، والتي بدونها لتأخر زمن كشف منابع هذا النهر العظيم الى تاريخ لا يعلمه إلا الله(٦).

بأربع دول (غينيا، ومالي، والسنغال، وموريتانيا) تبلغ مساحة حوضه حوالي٣٤٠٠٠٠ كيلومتر مربع.(للمزيد يُراجع، جودة حسين جودة: جغرافيا إفريقيا الإقليمية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٦٨.؛ وكوثر عبد الحفيظ: نهر السنغال أشهر الأنهار الإفريقية، مجلة إفريقيا قارتنا، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٨، القاهرة، نوفمبر ٢٠١٣م، ص١– ٢)، وقد قامت على ضفته اليسرى إمارة التكرور أول إمارة إسلامية في غرب إفريقيا خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر، للمزيد عن هذه الإمارة (يُراجع، أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني).

(١) المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٧٨، ٨٧٩.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، جـ١، ص٣٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٥، ص٣٣٤.؛ وبجانب الرؤية الجغرافية لمنابع نهر النيل، ارتبط في الثقافة الإسلامية برؤية دينية خاصة، أشارت إلى أن أصل النيل ينبع من الجنة (للمزيد يُراجع، شهاب الدين الأقفهسي: أخبار نيل مصر، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى ونعمات عباس محمد، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٧ وما بعدها).

(٤) ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، ص١٣، وايضًا كتابه: الجغرافيا، ص٩.؛ الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط بطربورغ، ١٨٦٥م، ص١٩.؛ العُمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ١، ص١٥٨.؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٢٥٦.؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ٢، ص٧٠٥.؛ ابن خلدون: العِبَر، جـ١، ص ٦٩.؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ ٣، ص ٣١٦.

(٥) للمزيد يُراجع، جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٦) عطية القوصي: محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيـل في القرون الأولى للإسلام، ضمن كتاب بعنـوان «العرب في

وعلى العموم فقد ظل مسمى السودان خلال تلك الفترة يُنظر له بهذا المعطى الجغرافي والبشري، بأنه الإقليم الذي يشمل كل بلاد النيل وشعوبه وروافده في إفريقيا، إلا أنه خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عم الأرجاء الإسلامية مسمى آخر يقابل اسم السودان وهو مسمى التكرور أو التكاررة أو التكارنة[١]، وهو مصطلح تاريخي وجغرافي استخدمه مؤرخو هذا العصر[٢]، للإشارة إلى بلاد سودان غرب إفريقيا وشعوبها، التي كانت تقيم على حوض نهر النيجر[٣]، أو ما أُصطلح عليه في الدراسات التاريخية لدى الباحثين باسم السودان الغربي والأوسط[٤]. ومع تبني أبناء هذا

إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر»، إشراف رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤١-٥٦.

(١) تكرور و الجمع تكارير (Takarir) اسم أطلقه المؤرخون العرب في العصر الإسلامي على شعوب غربي إفريقيا عمومًا، وكان البكري أول من ورد عنده اسم تكرور، وقد أطلقه على مدينة توجد على الضفة اليسرى من نهر السنغال، وهي أولى المناطق التي دخلها الإسلام في في غرب إفريقيا جنوب الصحراء بحكم القرب الجغرافي من بلاد الإسلام (المسالك والممالك، جـ٢، ص ٨٦٨)، وهناك مسميات أخرى للتكرور، منها تكارين (Takarin) وتكارنة (Takama) ومفردها تكروني، وقد شائع اسم التكرور في مصر والحرمين والحبشة ليشمل كل منطقة غرب إفريقيا جنوب الصحراء(ابن سعيد: الجغرافيا، ص٧- ٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٩٥)، والواضح أنه حدث خلط لدى المؤرخين بين اسم السودان بمعناه الذي يشمل كل أسود واسم التكرور، ووقد تنبه فالعمري لهذا الأمر عند حديثه عن منسا موسى ملك مالي، حين أشار إلى أن التكرور إقليم من ضمن أقاليم مملكة مالي التي حكمها هذا المنسا(مسالك الأبصار، جـ٤، ص٤٩) وللمزيد يراجع:

Alnaqar, Umar; Takrur The History Of A Name, The Journal Of African History, Vol. 10, No.3(1969),p.365.,& Nehemia Levtzion: Mamluk Egypt and Takrur, , Studies in Islamic History and Civilization, ed, M. Sharon, Leiden: E, J. Brill, 1986, p.184.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، التاسع، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م، جـ٦، ص٩٤.؛ السيوطي: التحدث بنعمة الله تعالى، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٥٨، وأيضًا كتابه: الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو الإعراب وسائر الفنون، تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، جـ١، ص٢٧٨، ٣٣٢، ٣٤٥.؛ عبد الباسط الملطيّ: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، جـ٣، ٣١٢.؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ١، ق٢، ص٣٤١.

(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، جـ٢، ص١٦١.

(٤) قسم بعض الباحثين هذه البلاد إلى من حيث الدراسات التاريخية إلى ثلاثة أقسام رئيسة: الأول السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجامبيا وبوركينافاسو؛ والنيجر الأوسط. والثاني السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، أي أنه يمتد ليشمل غالبية تشاد بالإضافة إلى أجزاء من جنوب ليبيا (فزان)، وشرق النيجر، شمال شرق نيجيريا، وشمال الكاميرون، والثالث السودان الشرقي، ويشمل مناطق الحوض الأعلى والاوسط لنهر النيل وروافده أو ما يقع جنوب مصر والجهة الشرقية من إفريقيا، ويضم دول السودان وأثيوبيا وبلاد القرن الإفريقي والتي كانت شائعة في بعض الأحيان باسم بلاد الزنج وهي دول الصومال وكينيا وأوغندا، إلا أن كلمة السودان كانت تشملها أيضاً(عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١، ص١٥.؛ إبراهيم علي طرخان: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٤- ٥.؛ بشار أكرم جميل: تاريخ الإسلام في إفريقيا، ط١، دار الفكر، الأردن، ٢٠١٤م، ص٣٣.؛ Trimingham, J. Spenser, Islam in West Africa. London, 1959, P. 3.

الإقليم لذلك المسمى حتى صار علمًا لهم كما هو واضح في المصنفات السودانية[١]. وقد ظل اسم التكرور يُطلق على هذه البلاد حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، بينما بقي اسم السودان خلال تلك الفترة يُطلق على بلاد شرق إفريقيا وشعوبها، خاصة التي كانت تقيم على حوض نهر النيل وروافده جنوب مصر، وهي البلاد التي أُصطلح عليها في الدراسات التاريخية اسم السودان الشرقي.

ولم يكد القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ينتهي، حتى شاع استعمال اسم التكرور على بلاد غرب إفريقيا في الحرمين الشريفين من بلاد الحجاز ومصر والحبشة، وظل متداولاً بها خلال العصر العثماني، وقد كُثر استخدامه في وثائق المحاكم الشرعية بالعديد من عقود الشركات التي وجهتها السلطات العثمانية لبلاد التكرور، والتي كانت من غير شك يُقصد بها بلاد غرب إفريقيا[٢]. أما اسم السودان فقد انتهى به المطاف ليترسخ على البلاد والشعوب التي تقيم على ضفاف نهر النيل وروافده، ويؤكد الأرشيف العثماني شيوع هذا الاسم على هذه البلاد حينئذ[٣]، خاصة بعدما انحصر الاسم وصار يطلق– لأول مرة– بمدلول سياسي ليشمل كل بلاد حوض النيل جنوب مصر التي وقعت تحت سيطرة محمد علي باشا منذ العام ١٨٢١م [٤]، والتي عُرفت في التاريخ الحديث بفترة السودان العثماني أو السودان التركي المصري[٥].

---

(١) المصادر السودانية هي كتب صنفها مؤلفون وطنيون من بلاد غرب إفريقيا، أخصها كتب التراجم التي تناولت الشخصيات التي عاشت في تلك البلاد، والتي ورد بها اسم التكرور في سياق يعطي انطباعًا واضحًا بأن المقصود بها هي بلاد غرب إفريقيا جنوب الصحراء، والتي في مقدمتها كتاب محمود كعت (ت: ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تحقيق: هوداس ودولافوس، أنجي بريدن، ١٩١٣م. وكذلك كتابي أحمد بابا التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م؛ وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ٢٠٠٠م.؛ وكذلك كتاب أبي عبد الله الطالب البرتلي الولاتي (ت: ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨١م.؛ وكتاب محمد بلّو بن عثمان بن فودي (ت ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م): إنفاق الميسور في سيرة بلاد التكرور، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٩٦م.

(٢) حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة– البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٢٠.

(٣) للمزيد يُراجع، محمد فؤاد شكري: مصر والسيادة عل السودان الوضع التاريخي للمسألة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٦م.؛ أغورخان دميرباش وآخرون: السودان في العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعدي، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون بإستانبول، إستانبول، ٢٠٠٧م.

(٤) صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية دراسة في الجغرافية التاريخية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥، ٦.

(٥) يشير هذا الاسم إلى الفترة التي خضعت فيها دولة السودان قبل الانفصال لحكم إيالة– وحدة إدارية وعسكرية– مصر، ولاحقًا خديوية مصر، تحت السيادة العثمانية، وقد امتدت هذه الفترة من العام ١٨٢٠م، عندما بدأ محمد علي باشا والي مصر

وبالتزامن مع تلك الحقبة المصرية في بلاد السودان استطاع المستكشفون الأوروبيون من استكشاف مجرى نهر النيجر وتحديد مساره، وتأكد أنه نهر مستقل في نظامه النهري عن النيل، مما أدى إلى تصحيح ما سبق من مفاهيم خطأ حول ارتباطه بنهر النيل(١)، مما نتج عنه ظهور مصطلح جديد أطلقه المؤرخون الغربيون على بلاد سودان حوض النيجر وهو (غرب إفريقيا جنوب الصحراء)(٢)، وذلك تمييزًا لها عن بلاد السودان التي تقع على ضفاف وادي النيل، ومنذ ذلك الحين ترسخ اسم السودان مقترنًا بوادي النيل جنوب مصر في جميع الأرجاء شرقها وغربها، ليصبح في نهاية المطاف خلال العصر الحديث اسم يطلق للإشارة إلى الحدود السياسية للدولة الحديثة المعروفة اليوم باسم جمهورية السودان الشقيق.

وبالتالي يمكن القول إن بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي، هي تلك البلاد التي تقع في الحيز الجغرافي الذي كان يضم الأقاليم السياسية التي امتدت على حوض النيل وروافده بداية من بلاد الحبشة(٣) في الجنوب، إلى بلاد النوبة والبُجة شمالاً حتى جنوب مصر، ومن الضفة الغربية للنيل في مصر وروافده في السودان غربًا، إلى البحر الأحمر شرقًا.

العثماني حملة لضم السودان، حتى سقوط الخرطوم خلال الثورة المهدية عام ١٨٨٥م (حنان عبدالرحمن التيجاني: التنافس المملوكي العثماني على ساحل البحر الأحمر١٥١٢- ١٥٦٤م، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين، ع٢، نوفمبر ٢٠٢٠م، ص٧١).

(١) يُعتبر المستكشف الأسكتلندي "مونغو بارك" من أوائل الأوروبيين الذين استكشفوا مجرى نهر النيجر في أواخر القرن الثامن عشر، حيث قام برحلتين استكشافيتين في عامي ١٧٩٦ و١٨٠٥م، في وقت لاحق، أكمل الأخوين "ريتشارد وجون لاندر" في عام ١٨٣٠م، استكشاف مجرى النهر وصولاً إلى مصبه في خليج غينيا (للمزيد يُراجع، جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، ص٨٥).

(2)**Palmer, Ignatiustexts**: Travels in Kordofan; embracing a description of that province of Egypt, and of some of the bordering countries, with a review of the present state of the commerce in those countries, of the habits and customs of the inhabitants, as also an account of the slave hunts taking place under the government of Mehemed Ali,London, J. Madden and Co,1844.& **Heinrich, BArth**: Travels and discoveries in North and Central Africa, v.5 (1857-1858), Smithsonian Libraries, D. Appleton, 1858.& **Georg, Schweinfurth**: The Heart of Africa. August, 1836-1925, New York, Harper & **brothers, George Frewer**, Ellen Elizabeth, 1874.&. Delafosse, Maurice: Haut Senegal–Niger, Emile Larose, paris, 1912. & **Mauny, Raymond**: Tableau Geographique de la oust Africain au mouyen- age, Mem de IFANB,No.61, DAKAR,1961.

(٣) الحبشة: عرفها المؤرخون في العصر الإسلامي بأنها دار مملكة النجاشي، وعاصمتها مدينة كعبر، ونيل مصر يمر ببلادها، ولها مدن كثيرة وعمائر واسعة، منها ما يقع على ساحل البحر الأحمر مثل الزيلع ودهلك، وجميع بلادها في مقابل اليمن، وقد يبلغ عرض البحر الأحمر في بعض المناطق بينها وبين اليمن ثلاثة أيام، ويمثل البحر الأحمر حدها الشرقي، وأول حدها من الشمال أخر بلاد البُجة، ومن الغرب حد مملكة عُلوة النوبية الشرقي، وآخرها مملكة الزنج، وهو حدها الجنوبي، وكل من في بلاد الحبشة من ملوك، فهم تحت يد النجاشي يعطونه الطاعة، ويؤدون إليه الخراج، وهو على دين النصرانية اليعقوبية، تقرب ألوانهم من العرب بين السواد والبياض، والجميع أهل سلم، وليست دارهم بدار حرب، وأن كل ما كان يأتي في البلاد الإسلامية من جلود النمور والجلود البقرية الملمعة فيقع من ناحيتهم(اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صادق، المكتبة

وسوف ترتكز الدراسة على الأقاليم الشمالية فحسب، والتي عُرفت ببلاد حوض النيل الأوسط، والتي اشتملت على الأقاليم التي عُرفت في العصر الإسلامي باسم بلاد البُجة والنوبة[١]؛ نظرًا لكونها الميدان الفاعل لحركة مسارات الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر ببلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي.

أ- إقليم قبائل البُجة:

عُرفت القبائل التي سكنت الصحراء الشرقية جنوبي مصر في العصر الإسلامي باسم بلاد البُجة أو البُجَاة[٢]، وقد أشار المؤرخون والجغرافيون المسلمون بأن أوطانهم امتدت فيما بين جنوب شرق الصعيد من البلاد المصرية- حيث تبدأ بلادهم من قرية تعرف بخَرِبَة معدن الزُّمُرُّد[٣] في صحراء قوص- إلى هضبة الحبشة شمال إريتريا جنوبًا، فيما بين البحر الأحمر في الشرق، إلى النيل ونهر عطبرة (أتبرا) في الغرب، ومن أشهر بلادهم العلاقي[٤] وعيذاب[٥] وسواكن[٦]، وقد

الحيدرية بالنجف، العراق،١٩٦٤م، جـ١ ص١٦٦.؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ١ ص١٨:١٩.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٦.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٤.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٧).

(١) الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص٣٥.

(٢) تردد اسم البُجة عند المؤرخين والرَّحالة والجغرافيين المسلمين بأشكال وهجائيات متعددة، حيث وردت عند بعضهم باسم "البَجاوة"، وبعضهم الأخر باسم "البُجة"، وأحيانًا باسم "البُجَا"، وأيضًا" البُجَاة"، ولعل الاسم الأشهر هو لفظ "البُجة"، بضم الباء وفتح الجيم، وقد تحولت حركة الضم إلى الكسر في الزمن الحديث لتنطق ""البُجة" (الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط: من القرن السابع الى القرن التاسع عشر للميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٤٥).

(٣) خَرِبَةُ الزّمرّد: والتي تُعرف بخربة الملك، وهي موضع يستخرج منه الزمرد، على ست مراحل من فقط (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٥٥).

(٤) العلاقي: وهو وادي عظيم يقع في صحراء مصر الشرقية، ينحدر غرب جبال البحر الأحمر ليصل إلى نهر النيل في المنطقة الواقعة شمال كرسكو بنحو ٥٠ كم، ويبلغ طول مجراه ٣٥٠ كم، ويقدر عرضه بنحو ٥٠٠٠ كم تقريبًا، وهو أهم المراكز التجارية في بلاد البُجة لأنه يمثل أكبر مركز لاستخراج الذهب وسوقه منذ العصور القديمة (عبد العال عبد المنعم الشامي: محاضرات في الجغرافية التاريخية، الصحاري المصرية في العصر الوسيط، مؤسسة الرياض، القاهرة،١٩٨٧م، ص ١٢٣).

(٥) عيذاب أو ثغر عيذاب: هي أكثر بلاد البُجة أهمية وأعلاها شهرة في العصر الإسلامي؛ لأنها حظيت بميناء كان ذو دور مهم على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، وكان هذا الميناء يستخدم للأغراض الحربية في بداية الأمر، وما لبث أن أصبح يستخدم للأغراض التجارية وأصبح أعظم ميناء تجاري في المنطقة، حتى باتت مدينته أكبر سوق تجاري آنذاك، والآن عيذاب وميناؤها هي خرائب تقع شمال حلايب الحالية بنحو ٢٠ كم عند دائرة عرض ٢٠، ٢٢ شمالاً كمكان مندثر (عبد العال عبد المنعم الشامي: محاضرات في الجغرافية التاريخية، طريق عيذاب قوص خلال العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٨).

(٦) سواكن: وهي بلدة كانت لميناء مشهور في العصر الإسلامي في السودان على ساحل البحر الاحمر، هي الآن بلدة مهجورة بعد أن حل مكانها ميناء بور سودان، وكانت تقع على خط عرض ١٩,٥ درجة شمالا وخط طول ٣٧,٥ درجة شرقا في وسط

اعتمدت هذه القبائل على الرعي والترحال رغم شهرة بلادهم بمعادن الذهب والزُّمُرُّد، وانقسمت فيما بينها إلى بطون وأفخاذ كما للعرب(١).

وقد اتفقت آراء الباحثين على أن البُجة من أقدم العناصر التي سكنت وادي النيل، حيث إن سلالتهم الحالية تقطن أجزاءً من شرق السودان وشمال إريتريا، وتمتد جذورها فيها منذ عمَّر المصريون القدماء وادي النيل في بلاد مصر والسودان(٢)، وقد بلغت مساحة هذه البلاد حوالي ١١٠،٠٠٠ ميل مربع تقريبًا موزعة بين مصر والسودان وإريتريا(٣).

وقد ضمت هذه البلاد عدة روافد لنهر النيل، منها نهر عطبرة (أتبرا) آخر الروافد الرئيسة التي تصب في نهر النيل قبل وصوله إلى مصر، حيث يبلغ طوله حوالي ٨٠٠ كيلومتر، وهو وينبع من الهضبة الإثيوبية، ويتدفق نحو الشمال الغربي عبر شرق السودان، حيث يمر عبر أراضي البُجة قبل أن يلتقي بنهر النيل جنوب مدينة عطبرة، ويتميز بارتفاع منسوب مياهه خلال موسم الأمطار في إثيوبيا، بينما يجف أو يقل تدفقه بشكل كبير خلال موسم الجفاف. أما الرافد الأخر فهو نهر (سيتيت) المعروف أيضًا باسم (تكازي)، وهو أحد الروافد المهمة لنهر عطبرة، والذي ينبع من المرتفعات الإثيوبية، ويتدفق عبر إريتريا قبل دخوله شرق السودان، حيث يمر عبر أراضي البُجة ويلتقي بنهر عطبرة(٤).

سهل ساحلي منخفض يحاذي البحر الأحمر (محمد عوض: السودان الشمالي سكانه وقبائله، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م ص١٠٨).

(١) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٤- ١٧٥.؛ أيضًا تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص١٦٦- ١٦٧.؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص١١، ٥٤؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص١٥.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٠.؛ الهمداني: البلدان، ص١٣٠.؛ ناصر خسرو: سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص١١٨.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٦.؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٣٩٩.؛ القزويني: أثار البلاد، ص١٨؛ ابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص٥٠؛ وأيضًا كتابه: الجغرافيا، ص١١٦.؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص٩٦.؛ ابن الوردي: خريدة العجائب، ص١٤٠.؛ القلقشندي: صبح الاعشى، جـ٥، ص ٢٦٣ وما بعدها.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٧ وما بعدها.

(2)**Weigall, A. E. P.:** A Report on the Antiquities of lower Nubia, Oxford, 1907,p5. & **Seligman**: "some Aspects of The Hametc problem in the Anglo Egyptian Sudan" J. R. A. S. No 43, 1913 , pp 606 – 607. & **Paul, A**.,: A History of the Beja Trilxs of the Sudan, Camal,, idge 1954, pp 23 – 25. & **Arkeli., A,J**: History of The Soudan form The carliest Times to 1821, London 1961,p127.

(٣) مصطفى محمد مسعد: البُجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآدب، جامعة القاهرة، مج٢١، جـ٢، ديسمبر١٩٥٩م، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١.

(٤) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي: السودان دراسة في الوضع الطبيعي، ص٧١- ٧٤.

ب- إقليم ممالك النوبة:

اتفقت المصادر التاريخية في العصر الإسلامي على أن بلاد النوبة هي أرض وادي النيل الممتدة على جانبي هذا النهر العظيم بين مدينتي أسوان والخرطوم الحالية على وجه التقريب(١)، وذكرت بأنها تنقسم إلى مملكتين عظيمتين، أولهما: مملكة المَقُرَّة(٢) (Makuria) – النوبة السفلى أو الشمالية – وتبدأ حدودها الشمالية من قرية تسمى بـ (القصر)، والتي تبعد عن أسوان بمقدار خمسة أميال، وعن جزيرة (بِلاق)(٣) أخر الحدود المصرية الجنوبية وميلًا واحدًا، وتنتهى حدود هذه المملكة عند بلدة الأبواب(٤) (كبوشية الحالية) جنوبًا؛ وعاصمتها مدينة دنقلة أو دمقلة(٥).

أما المملكة الثانية فهي مملكة عُلوة (Alwa)(٦)– النوبة العليا أو الجنوبية – ولقد ذكرت المصادر أن حدها الشمالي يبدأ بنهاية المملكة الشمالية عند بلدة الأبواب، وتنتهي حدودها جنوبًا عند

(١) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٤.؛ أيضًا تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص١٦٦.؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص١١.؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص١٧.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٧.؛ الهمداني: البلدان، ص١٢٨.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص ٣٢، ٣٧- ٣٩.؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٣٠٩.؛ ابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص٢٩؛ وأيضًا كتابه: الجغرافيا، ص٩٦.؛ القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ، ص ٢٤.؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص ٩٥- ٩٦.؛ العُمري: مسالك الأبصار، جـ٤، ص ٤٦-٤٨.؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٣٧- ١٣٩.؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ٥، ص ٢٦٤ وما بعدها.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥١٧ وما بعدها.

(٢) امتدت مملكة المَقُرَّة من جنوب أسوان شمالاً، إلى بعد انثناءات النيل الكبرى في دولة السودان، بحيث تشمل إقليم شنقير، وتنتهي جنوبًا عند حد كبوشية حيث تبدأ مملكة عُلوة، وضم المنطقة الممتدة جنوب الشلال الأول من النيل إلى الشلال الخامس بالقرب من مدينة بربر جنوبًا، ويُعرف فيها النيل بالنيل النوبي (مصطفي محمد مسعد: المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، دار المصورات، الخرطوم- السودان، ١٩٧٢م، ص ٩٦- ٩٧).

(٣) بلاق: هي جزيرة تقرب من الجنادل- الصخور التي تعترض مجرى النهر- محيط بها النيل، فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس، وبها نخل عظيم، ومنبر في جامع، وإليها تنتهي سفن النوبة، وسفن المسلمين من أسوان (المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٠).

(٤) يذكر المقريزي- نقلاً عن مؤرخ النوبة ابن سليم الأسواني- أن منطقة الأبواب هي أول إقليم من بلاد مملكة عُلوة جهة الشمال، وهو من أهم أقاليمها، ويشتمل على عدة قرى على الشاطئ الشرقي للنيل، وكان والى هذا الإقليم من قبل صاحب عُلوة يُلقب بالرحراح، وكان يتمتع بمكانة كبيرة بحكم مسئولياته عن الدفاع عن الحدود الشمالية للملكة (المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٢).

(٥) دنقلة: تعرف الآن بدنقلة القديمة أو العجوز، وتقع في دولة السودان شمال دنقلة الحالية بنحو مائة ميل تقريبًا، كما تقع على الضفة الشرقية للنيل بعكس دنقلة الحالية (عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤١).

(٦) امتدت مملكة عُلوة ما بين دنقلة شمالاً، إلى منطقة التقاء النيلين البيض والأزرق جنوبًا، وتحديدا تمتد من منطقة الأبواب بالقرب من كبوشية شمالاً، حتى قطنة جنوبًا على النيل الأبيض جنوب الخرطوم، وشملت جهات نهر أتبرا والنيل الأزرق،

بلاد الحبشة، وقيل تحديدًا عند بلدة تسمى (طبلى)[١]، وقيل أيضًا بأن آخرها يقع عند أمة تسمى (تكنة)[٢]، عاصمتها مدينة سُوبا (Soba)[٣].

وتضم هذه البلاد غالبية إقليم حوض النيل الأوسط وروافده العظمى وما حولها من الأراضي، حتى بات يطلق على النيل في هذا الإقليم اسم (النيل النوبي)، والذي يمتد من جنوب الخرطوم حتى جنوب أسوان، في مسافة تقدر بنحو ١٩٠٠كم، ويلاحظ في هذه المسافة أن مجري النيل محدد وواضح ومرتفع الجوانب، وتبرز أكثر ظواهره في التثني على شكل حرف (S)، وظاهرة وجود مجموعات الجنادل – صخور – تعترض مجراه[٤]. لذلك عُرفت هذه البلاد نتيجة لجنادل النيل على أنها أرض شلالات النيل[٥]، وإن لم يكن بها شلالات بالمعني الكامل، فإن لشدة انحدار النيل وسرعة تياره في هذه البلاد، واعتراض مجراه مجموعة من الجنادل عرفت بالشلالات، وعددها ستة جنادل أو شلالات[٦].

كما تضم هذه البلاد أيضًا أهم روافد نهر النيل، وهما النيل الأزرق والأبيض، بعدما يلتقيان شمال الخرطوم في منطقة المِقرن، وهي وادي عريض بانحدار بسيط للغاية يقع بالقرب من جنوب

وامتدت شرقًا حتى حدود الحبشة، وغربًا إلى بعض جهات دارفور وكردفان، فهي تضم المنطقة الواقعة بين الشلال الخامس إلى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في السودان (شوقي عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر١٩٦٩م، جـ١، ص٢٠٢ وبعدها).

(١) طبلى: لم يستدل على اسم هذه البلدة تحديداً، ولكن من المؤكد أنها إحدى بلاد محافظة سنار السودانية، على مسافة ٢٠٧ميلاً من الخرطوم جنوباً (نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ط١، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٧م، جـ١، ص٥٦).

(٢) تكنة: ربما كان هؤلاء التكنة هم (الدنكا) حاليًا، والراجح أنهم في هذا الوقت تقدموا شمالاً على النيل الأبيض، متجاوزين أوطانهم الحالية (مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٠٤).

(٣) سُوبا: يرجح علماء الأثار بان بقايا الكنائس والأديرة التي عثر عليها في المنطقة التي تقع على الضفة الشرقية للنيل الأزرق، جنوب شرق الخرطوم بحوالي ١٥ كيلومترًا ترجع إلى بقايا مدينة سُوبا (شوقي عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، ص٢٠٢).

(٤) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي: السودان دراسة في الوضع الطبيعي، ص ٧٠، ٧٢.

(٥) وليم أدمز: الممر النوبي، ترجمة محجوب التجاني، ط٢، القاهرة، عام ٢٠٠٥م، ص٤١١.

(٦) تمتد هذه الجنادل أو الشلالات من الجنوب إلى الشمال، حيث تبدأ بالجندل السادس والذي يمتد من خانق سبلوقة شمال الخرطوم وينتهي شمال عطبرة ببضعة كيلومترات، ثم يبدأ الجندل الخامس الذي يمتد مسافة ١٠٠كم، وينتهي عند جزيرة مقرات، ثم يجري النهر بعدها في مجري يتجه إلى الجنوب الغربي، ليبدأ الجندل الرابع بعد جزيرة شيرى، ويمتد لمسافة١١٠ كم حتى يصل إلى أبو فاطمة، حيث يبدأ الجندل الثالث الذي يكاد يتصل بالجندل الثاني في جنوب حلفا بنحو ٩ كم، وبعد حلفا بنحو٣٤٥ كم يصل النهر إلى الجندل الأول جنوب أسوان والذي تغطيه مياه خزان أسوان (نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، جـ١، ص١٥).

الخرطوم[١]. كما يُعد النيل الأزرق الرافد الرئيس للنيل، فهو المسؤول عن ٧٠٪ من مياه الفيضان، حيث يخرج من بحيرة (تانا) التي تقع في الشمال الغربي للمرتفعات الإثيوبية، أما النيل الأبيض فهو يمثل أحد الروافد الرئيسة لنهر النيل أيضًا في السودان، ولكن ليس بقدر النيل الأزرق، وهو ينبع من بحيرة (فيكتوريا)، التي تقع عند تقاطع أوغندا وكينيا وتنزانيا[٢].

بعد العرض الجغرافي والتاريخي للأقاليم السياسية التي امتدت على حوض النيل الأوسط جنوب البلاد المصرية في العصر الإسلامي، والتي كانت بلادها مسرحًا لحركة مسارات الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل، يأتي عرض تلك المسارات واتجاهاتها وتحقيق منازلها.

٢- مسارات الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي.

نظرًا لأن كلًا من الإقليمين السالفين من بلاد سودان وادي النيل تميز عن الآخر بخصائص بيئية وعوامل اقتصادية، كان من الأحرى عرض مسارات شبكات الطرق والمعابر التي كانت تربطهما بالبلاد المصرية في كل إقليم على حدة؛ لفك الالتباس في اتجاهات ومسارات تلك الطرق والمعابر.

أولاً: الطرق والمعابر بين مصر وشرق سودان وادي النيل في إقليم البُجة.

لم يكن إنشاء الطرق والمعابر في إقليم بلاد البُجة بين مصر وشرق السودان وقيامها بالأنشطة الإنسانية في العصر الإسلامي جديدة العهد ووليدة الصدفة، فإن لهذه الطرق والمعابر من الغايات والأغراض ما كان مبررًا لنشأتها وتحديد مسارها ومسالكها منذ عصور ما قبل التاريخ، في ضوء دعم من المقاومات الجغرافية والبشرية التي أسهمت في ذلك.

فقد كان أهم الغايات وأقدمها هو الغرض الاقتصادي وخاصة التجارة بمختلف مستوياتها الخارجية والداخلية، فخارجيًا: تطلَّع أول من استقر في وادي النيل هم المصريون القدماء، إلى الحصول على السلع الإفريقية والأسيوية عبر التجارة في البحر الأحمر بأيسر السبل، لذلك لجأوا إلى اختراق بلاد البُجة توفيرًا للوقت والجهد، حيث كانت هذه الأرض بمثابة حلقة الوصل التي ربطت نشاطهم التجاري بشرق إفريقيا عبر البحر الأحمر. حيث يشير التاريخ القديم أن (رعمسيس الثالث)[٣]

(١) نعوم شقير: المرجع السابق، جـ١، ص١٠٧.

(٢) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعوي: المرجع السابق، ص ٦٥- ٦٦.

(٣) رعمسيس الثالث أو رمسيس الثالث: هو ثاني فراعنة الأسرة العشرين في مصر القديمة، ويُعتبر آخر الملوك العظام في المملكة الحديثة. حكم مصر في الفترة من ١٢٠٠ق.م- ١١٦٨ق.م، وهو ابن الملك "ست نختي" مؤسس الأسرة العشرين (للمزيد يُراجع: سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع: عصر أسرة مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٩م، ص٢٦١ وما بعدها).

في عهده أعدَّ أسطولًا بحريًا بغرض التجارة في البحر الأحمر، فجعل من القصير مركزًا له على الساحل، ولكي يربط بينها وبين النيل، أنشأ طريقًا يمر عبر صحراء البُجة يصل من القصير حتى النيل عند قفط(١). وقد ظل هذا الطريق يستعمله تجار البُجة في العصر الإسلامي حتى العام ٢٠٤هـ/٨١٩م للحصول على القمح والتمر(٢). أما داخليًا، فالمرجح أنهم قاموا بإنشاء الطرق والمعابر داخل تلك البلاد للحصول على معدن الذهب الذي اشتهرت به، ولعل بقايا الآثار المصرية القديمة الموجودة إلى الآن في بعض مناجم استخراج الذهب من أرض البُجة، فيما بين مسمار وسنكات تشهد على قيامهم بذلك(٣).

والمؤكد أن هؤلاء المصريين القدماء اتخذوا الوسائل المختلفة لتحديد مسارات الطرق والمعابر واتجاهاتها في هذا الإقليم، فدلت الأبحاث الأثرية على أنهم أول من استغل مناجم الذهب في هذه البلاد(٤)، حيث عُثر على أقدم خريطة في العالم يُرجح تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، صُور عليها أقدم مخطط جغرافي عن مناطق استخراج الذهب بصحراء البُجة في وادي العلاقي(٥)، وإن دَّل هذا فإنما يدل عن مدى التقدم العلمي للمصريين القدماء في رسم الخرائط الجغرافية، والتي تؤكد أنها اُستخدمت بغرض تحديد مسارات واتجاهات الطرق والمعابر بهذه البلاد.

ولم تقل أهمية هذه الطرق والمعابر لمصر عبر هذه البلاد في العصر البطلمي؛ فقد أسهمت المشروعات التجارية التي قام بها البطالمة على ساحل البحر الأحمر في الاهتمام بإنشاء الطرق والمعابر وتحديد مسارتها عبر صحراء هذه البلاد، وقد تمثلت هذه المشروعات في إنشاء الموانئ التجارية مثل ميناء بورت سوتريا، وثيرون سويترون، وليمن إيڤانجلز، وكسوتراس ليمن، وبطليموس ثيرون(٦)؛ وذلك سعيًا للحصول على سلع ومنتجات الشرق الإفريقي، ولتفعيل هذا كان لابد أن تصل

(١) جورجي زيدان: العرب قبل الإسلام، مؤسسة دار الهلال، مصر، ١٩٦٢م، ص١١١.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥١.

(٣) محمد عوض: الشعوب والسلالات الإفريقية الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥م، ص٢٥٦.؛ تقع مسمار بالقرب من بلدة هَيّا جنوب مدينة سكنات، وسكنات تبعد ٤٠ ميلاً غربي سواكن، والبلدتان تقعا في ولاية البحر الأحمر بالسودان (نعوم شقير: المرجع السابق، جـ١، ص١٢٥).

(٤) جميس هنري برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٢٩م، ص٩، ٢٧٨.

(٥) هذه الخريطة هي بردية محفوظة الآن ضمن نفائس متحف (تورين) بإيطاليا، وهي أقدم مصور جغرافي في العالم، وقد صور عليها الأماكن التي يوجد فيها الذهب في وادي النيل، وترجع إلى عهد "سيتي الأول" (١٢٩٤ أو ١٢٩٠ ق. م- ١٢٧٩ أو ١٣٠٢ ق. م) وقد ذهب الأثريين إلى أن المناجم المصورة تشير إلى المناجم القديمة المسماه(داراهيب darahib) الواقعة في وادي علاقي(للمزيد يُراجع: سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، الجزء السادس: عصر رعمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٩م، ص١١٠، ١١٢).

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه الموانئ يُراجع: صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية، ص٢٨وما بعدها.

تجارتهم إلى النيل عبر هذه الصحراء، ولتحقيق ذلك استعانوا بالعناصر العربية التي استقرت في بلاد البُجة ، خاصه عناصر قبيلة (بلى) والتي عرفوا باسم البليميين(Blemmyes)[١]، في القيام بعمليات النقل البري بين البحر الأحمر والنيل؛ لأنهم ذوو خبرة بشئون الصحراء ومسالكها.

أما في عصر الرومان لم تفقد هذه الطرق والمعابر أهميتها لمصر في تلك البلاد، فرغم انصرف الرومان عن تجارة البحر الأحمر ومراكزها على طول الساحل الإفريقي[٢]. فقد استطاع البليميون في ذلك الوقت السيطرة على شمال بلاد البُجة [٣]، واستكملوا نشاط البطالمة التجاري ومتابعة حركة النقل البري وانشطته عبر طرق ومعابر تلك البلاد. كما أسهمت سيطرة دولة أكسوم(Aksum)[٤] على جنوب تلك البلاد في تنشيط هذه الطرق والمعابر بعدما مثلت صلة الربط وركيزة التواصل بين تجارتها ومصر، والتي كانت حينها محورًا تجاريًا مهمًا بين تجارة الإمبراطورية

(١) البليميون: إذا كان من غير المعروف من أي العرب هؤلاء، فالراجح أنهم أو معظمهم على الأقل من قبيلة بلي القحطانية؛ لأنها من أشهر القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر قبل الإسلام، وسكنت صحراء مصر الشرقية في المنطقة الوسطى من تلك الصحراء الواقعة بين قنا والقصير، وفي الوقت الذي كان يطلق على القبائل البدوية التي تسكن الإقليم الواقع بين النيل والبحر الأحمر جنوبي مصر اسم (بُجة) نرى الكتاب القدماء من البطالمة والرومان يطلقون على هؤلاء اسم بليميين(Blemmyes)، والراجح أنهم طبقة أرستقراطية استطاعت بما لديها من خبرات وصفات حربية ممتازة أن تسيطر على مجموعة كبيرة من البُجة الشماليين مدة ثمانية قرون على الأقل، وأن تستعين بهم على تحقيق مصالحها الاقتصادية والحربية التوسعية زمن البطالمة والرومان، أما بقية البُجة ولا سيما الجنوبيين منهم فقد احتفظوا باسمهم القديم الذي عرفوا به في نقوش أكسوم، وحينما فقد هذه الطبقة سلطانها خلال القرن السادس الميلادي عاد الاسم القديم (البُجة) إلى كامل الإقليم بما فيها هذه القبائل (مصطفى محمد مسعد: البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص١٢، ٣١).

(٢) مصطفى مسعد: البُجة والعرب، ص١٤.

(٣) مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص٧.

(٤) أكسوم(Aksum): وهي التي عُرفت بدولة الحبشة، وقد كانت قائمة قديمًا في شرق إفريقيا، وكانت تشمل أراضي أثيوبيا وأريتيريا وجنوب شرق السودان حاليًا، وقد وقعت في منطقة محصنة طبيعيًا تمتد شمالاً من منطقة كيرون (Keron)، حتى لومبا (Lamba)، ومن عدولي (Adoulis) على الساحل شرقًا، الى تكازي (Takkzé) غربًا، حيث سيطرت على منطقة الساحل الإفريقي المقابل لليمن، وقد عُرفت بمملكة أكسوم نسبة إلى عاصمتها مدينة أكسوم، التي تبعد عن البحر الأحمر بحوالي ١٨٧ كم، ويقدر بأنها ظهرت مع بداية النصرانية، ويظن أنها قامت على يد العرب الجنوبيون في تلك البلاد، ودانت هذه المملكة بالوثنية إلى القرن الرابع الميلادي، وبعدها تحولت إلى النصرانية، وقد شهدت هذه الدولة ازدهارًا سياسيًا واقتصاديًا نتجت عنه حضارة لا تقل عن جاراتها، وجاءت نهايتها في القرن العاشر الميلادي حين وقعت منطقة الساحل الإفريقي في قبضة المسلمين، ما جعلها تفقد دورها الاقتصادي(فرانسيس أنفري: حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام(اليونسكو)، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا القديمة، نشر جون أفريك، باريس، ١٩٨٥م، ص٣٦٧.؛ الشاطر بصيلي: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص١١.؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م، جـ٦، ص١٤١).

الرومانية وشرق إفريقيا، خاصة بعدما راجت سلع إفريقيا فيها[١]، مما جعل أكسوم تُنشئ عدة طرق تربطها بنيل السودان عبر هذه البلاد للحصول على هذه السلع[٢].

وإذا كانت الطرق والمعابر نشأت في إقليم البُجة في عصور مصر القديمة بغرض الاقتصاد والتجارة، فإنها مع قدوم العرب المسلمين إلى مصر أصبح لهذه الطرق والمعابر شأن عظيم في العصر الإسلامي، حيث تعددت فيها الغايات والأغراض، خاصة بعد ضم تلك البلاد تحت نفوذ الدولة الإسلامية في مصر منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٣]، ومن أبرزها الأغراض السياسية، المتمثلة في كونها السبيل الذي يُرسل عبره العدَّة والعتاد للجند المرابطين في القواعد الحربية التي أقامها المسلمون داخل أقاليم البُجة، كقاعدة ماء حكم[٤]، وعيذاب، والعلاقي؛ بغرض تأمين جنوب مصر من هجمات البُجة والنوبة على الصعيد. كما كان لها أغراض اقتصادية أيضًا، والتي تمثلت في تنشيط حركة تجارة المعادن النفيسة التي اشتهرت بها هذه البلاد من معدن الذهب والزمرد[٥]، وكذلك ربطت حركة التجارة العالمية العابرة بين الشرق والغرب، فيما بين مدن الصعيد الأعلى على النيل وموانئ البحر الأحمر[٦]، خاصةً في فترات نشاط التجارة الشهيرة التي عُرفت بالكارمية[٧]. وكذلك أغراض دينية والتي تمثلت في قيـام هذه الطرق والمعابر بخدمة الحجيج خـلال

(١) محمد حمزة جار الله الشمري، موانئ شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري قبل الإسلام، رسالة دكتوراه–غير منشورة– كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص١٤٧.

(٢) صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية، ص٥٥.

(٣) خضعت بلاد البُجة تحت نفوذ الدولة الإسلامية منذ العام عام ٢١٦هـ/٨٣١م، وذلك حين شن البُجة الغارات على أسوان وكثر إيذائهم عليها، فرفع ولاة الأمور في أسوان خبرهم إلى الخليفة المأمون (١٩٨– ٢١٨هـ/ ٨١٣– ٨٣٣م)، فجرد إليهم حملة عسكرية بقيادة عبد الله بن الجهم اسفرت نتائجها عن هزيمة البُجة وعقد لهم أمانًا، والذي أقرت بنوده على أن إقليم البُجة أرضٌ إسلامية (للمزيد عن بنود المعاهدة يُراجع، المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣١– ٥٣٣).

(٤) ماء حكم: منطقة بأرض البُجة على بعد مرحلة من عيذاب، أربع مراحل من العلاقي، وقد اتخذها القائد العسكري "حكم النابغى" في عام ٢١٢هـ/٨٢٧م قاعدة لعملياته الحربية ضد البُجة، ولا زال يعرف باسمه هذا إلى زمن ابن حوقل الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي (لمزيد من التفاصيل يُراجع: ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٢).

(٥) محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ط١، طبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١١٤، ١١٧.

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م، ص٦٠٨.

(٧) الكارمية: وقع الاختلاف في مدلول لفظ الكارم، هل هو "العنبر الأصفر"، ومن ثم اشتهروا بالإتجار في هذه السلعة التي زاد الطلب عليها، أم أن اللفظ مشتق من اللغة الأمهرية بمعني " الحبهان " أي أنهم كانوا يتاجرون في هذه السلعة، وهناك من يرى نسبة هذا اللفظ إلى التجار المشتغلين بهذه التجارة وأن أصلهم من منطقة الكانم، وأنهم تجار اشتهروا بتجارة البهار ثم حرفت من الكانم إلى الكارم، وهناك من يرى إن الكلمة تعني تجار البحر، ومنها تحريف الكلمة "كاريم" في إحدى لغات ساحل الهند الغربي، ومعناها حرفة التجار في البحر الأحمر، ومعني ذلك انتسابهم إلى البحر الذي كانوا يسلكونه بين مصادر التوابل في الشرق الأقصى إلى مصر وعبر الديار المصرية حتى ميناء الإسكندرية، وعليه فقد رأي البعض أن لفظ الكارم أو الأكارم

أكثر من قرنيين من الزمن دون سواها[١]؛ نظرًا لما تعرضت له شبكات الطرق الأخرى خاصة البرية في الدولة الاسلامية بمصر والشام والعراق من أحوال سياسية واقتصادية، والتي كانت تصل بين الشرق والغرب، مما أدى إلى تعطلها واضمحلالها[٢].

وبعد عرض الغايات والأغراض التي تبرر قيمة الطرق والمعابر لمصر في إقليم البُجة خلال العصر الإسلامي، فماذا عن مقوماتها الجغرافية والبشرية التي أسهمت في تعزيز قيمتها؟. لقد تمثل أهم هذه المقومات الجغرافية في طبيعة مظاهر السطح، والتي كانت عبارة عن سلسلة من جبال البحر الأحمر التي تتألف من كتل الجرانيت، فقد كانت بمثابة العمود الفقري للصحراء الشرقية، وربما تمثل عائقًا أمام شبكات الطرق الواصلة بين ساحل البحر الأحمر ودلتا النيل، إلا أن الأودية التي تنصرف منها تجاه النيل تمثل طرقًا طبيعية أمكن استغلال مجاريها، وكان أهمها وادي العلاقي الذي يقع جهة الغرب منها حتى يتصل بالنيل، والذي يبلغ طول مجراه ٣٥٠ كم، أما شرقها فتمتاز بالأودية متعددة الروافد عظمية الطول تصلح كطرق ومسالك طبيعية، إذ تؤدي إلى ممرات منخفضة سهلة تتخللها كتل جبلية، أهمها وادي الحوضين الذي يصل إلى شاطئ البحر الأحمر، وقد يبلغ طول مجراه ١٠٨ كم[٣].

أما عن المقومات البشرية الداعمة لمسالك تلك الطرق والمعابر في العصر الإسلامي، تتمثل في وجود عناصر عربية مستقرة في تلك البلاد كانت تجوب أرجاء بلاد البُجة، ممن كان لهم أنشطة اقتصادية في الحصول على المعادن واستخراجها، أو احتراف التجارة، أو تقديم خدمات اجتياز الطرق وعبورها، فقد كان لكثرة القبائل العربية الموجودة في هذا الإقليم أثرها على هذه الطرق والمعابر في

أو الكاريمي قد أطلق على جميع من مارس تلك التجارة بمصر، سواء كان من المصريين أو من غيرهم، وكان الكارمية أشهر تجار المحيط الهندي، وتلك السلع هي التي أدت إلى ثراء دولة المماليك، وبالمثل فإن قيامهم بالوساطة التجارية بين الشرق والغرب نمت مكانتهم التجارية حتى أصبحوا يمثلون الرأسمالية التجارية في ذلك العصر(صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مج٤، ع٢، القاهرة، مايو١٩٥٢م، ص٥، ٦).

(١) يشير "المقريزي" إلى أن عيذاب ظلت طريقًا للحج والتجارة دون غيرها عبر الطرق المارة بأرض البُجة ما يزيد عن مائتي عام، وذلك من بضع وخمسين وأربعمائة إلى بضع وستين وستمائة للهجرة، وكان الطريق إليها من جميع أنحاء مصر، وذلك منذ القرن الخامس الهجري حيث كانت الشدّة العظمى والتي امتدت ثماني سنين (٤٤٦- ٤٥٤هـ/١٠٤٥- ١٠٦٢م)، في عهد الخليفة المستنصر بالله، حتى القرن السابع الهجري حين أعاد الظاهر بيبرس فتح طريق الحج القديم (المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٩- ٥٥٢).

(٢) تمثلت تلك الأحوال في اشتداد النزاع بين الفاطميين وسلاجقة ببغداد، وكذلك استيلاء الصليبيين على أيله عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وأيضًا استيلاء المغول على بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وكذلك تعطل طريق التجارة بين الصين من ناحية، وآسيا الصغرى وموانئ البحر الأسود من ناحية أخرى (سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عهد دولة المماليك البحرية، مكتبه النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١١٦).

(٣) عبد العال عبد المنعم الشامي: دراسات في جغرافية مصر، طريق قوص عيذاب، ص١٠.

توفير أماكن للراحة والتزود بالمؤن للمسافرين، وكذلك توفير وسائل النقل والسفر من الدواب كالإبل اللازمة لحمل بضائع المسافرين، كما أشار "ناصر خسرو" (ت:٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) في رحلته عبرها(١). أو إرشاد القوافل فيها وتوجيه مسيرها وحمايتها، وذلك من خلال الأدلاء المهرة العارفين بأماكن المياه ومياسر الطرق، كالذي أشار إليهم "ابن جبير" (ت:٦١٤ هـ/١٢١٧م) في رحلته من تولي عرب قبيلة (بلى) هذا العمل(٢). بينما أشار "ابن بطوطة" (ت:٧٧٩هـ/١٣٣٧م) في زمن رحلته، أن القائم بهذه المهمة هم عرب قبيلة (دغيم)(٣).

ومن خلال ما أشار إليه الرَّحالة في العصر الإسلامي يتضح كيف أسهمت المقومات البشرية في تلك البلاد بتعويض ما نقص من مقوماتها الطبيعية التي تمثلت في صعوبة المسلك وتوجيه المسير وشدة الحر وقلة الماء، مما ترتب عليه زيادة فاعلية تلك الطرق والمعابر وتعزيز الاستفادة منها، مما يفسر تاريخيًا سبب قيام تلك الطرق والمعابر في أماكنها واختيار مساراتها وسط الصحراء في العصر الإسلامي، وبقيّ الآن معرفة أهم شبكات هذه الطرق والمعابر وتحقيق منازلها، خاصة التي تجاوزت الحدود الحالية بين دولتي مصر والسودان، والتي ربطت بين مصر وسودان وادي النيل في إقليم البُجة.

أ – الطريق بين عيذاب المصرية وسواكن السودانية:

هذا الطريق كان قائمًا بين مينائي عيذاب المصرية وسواكن السودانية اللذين يعدان من أهم موانئ إقليم البُجة علي ساحل البحر الأحمر في العصر الإسلامي، فقد أشار "النويري"(ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) إلى أن مسافة هذا الطريق تقدر بعشرة أيام(٤). بينما أشار "ابن بطوطة" إلى أن هذا الطريق يبلغ طوله أحد عشر يومًا، حيث يسلكه الحجاج العائدون بسفنهم من جُدّة(٥) قاصدين عيذاب، بعدما

(١) ناصر خسرو: سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص١١٧.

(٢) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق علي كنعان، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٨م، ص٤٨.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ١، ص٧١.

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، جـ٣٠، ص ٢٤٠.

(٥) جُدّة: بالضم والتشديد، بلد على ساحل بحر الأحمر، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال، وبين جدّة وعدن نحو شهر، وبينها وبين ساحل الجحفة– ميقات الحجيج من أهل الشام وبلاد المغرب ومصر– خمس مراحل (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص١١٤– ١١٥).؛ وتعد من أقدم مدن شبه الجزيرة العربية، حيث يرجع تاريخ نشأتها قبل الإسلام، وهي تقع على الفجوة وحيدة تخرق سلسلة جبال الحجاز، بين دائرتي عرض ٢١ ,٤٥ درجة إلى ٢٥,٢١ درجة شمالاً، وخطي طول ٢٠,٣٩ درجة إلى ٥,٣٩ درجة شرقًا، وتمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر في السهل الساحلي المعروف بـ (سهل تهامة) ما بن شرم أبحر شمالاً، والرأس الأسود عند الخمرة جنوبًا، ويبلغ متوسط عرض هذا السهل حوالي ١٢ كم عند مدينة

تُلقي بهم السفن في مكان يسمى رأس دوائر شمال سواكن – هو ما يُعرف حاليًا باسم رأس دواير– وقد قدر المسافة من هذا الموضع إلى سواكن بمسيرة يومين(١)، أما المسافة منه إلى عيذاب شمالًا فقدرها بمسيرة تسعة أيام، وقد ذكر أن أهم منازل هذا الطريق، وهو موضع يُعرف باسم (ماء مقرور)، وأخر يُعرف باسم (ماء الجديد)(٢).

والمؤكد أن هذا الطريق قد شهد على نشاط وتفاعل بين مصر وسودان وادي النيل في العصر الإسلامي، خاصة أنه ربط بين أهم موانئ البحر الأحمر في تلك الفترة، فقد كان عيذاب الميناء الأول لمصر، في حين كان ميناء سواكن المنفذ الوحيد لتجارة سودان وادي النيل على هذا البحر، حيث لعبت دورًا رئيسًا في تجارة ممالك النوبة المسيحية، فقد مثلت سواكن لتلك الممالك الإطلالة الوحيدة على البحر الأحمر للمشاركة في التجارة العالمية(٣)، ويتأكد هذا من إشارة "ياقوت الحموي"(ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) من وصفه لأهل سواكن، والذي وصفهم بأنهم من البُجة السود النصارى(٤)، والواضح من هذه الإشارة أن أهل سواكن كانوا يدينون بالمسيحية وذلك لأحد أمرين، أولهما عمل أهل سواكن بالتجارة مع دول النوبة المسيحية، وثانيهما قيام النوبيين بتنصير أهل سواكن لتقوية الروابط بينهم، حتى يضمنوا سلامة سير تجارتهم إلى الخارج، خاصة بعد سيطرة المسلمين على منافذ النشاط التجاري لهذا الساحل، وبذلك كان الولاء الديني عاملاً قويًا ضمن لممالك النوبة المسيحية ولاء أهل سواكن.

ولقد أدركت السلطة في مصر خلال عصر المماليك مدى القيمة التجارية لسواكن بالنسبة لممالك النوبة المسيحية، فعملت على إحكام السيطرة عليها حتى تحقق لهم ذلك في النهاية، ومرد ذلك وضع حد للتهديد المباشر أو غير المباشر الذي يمكن أن تحدثه تلك الممالك في تجارة البحر الأحمر من ناحية، وإحكام الرقابة على العلاقات الخارجية لتك الممالك من ناحية أخرى، خاصة مع انتشار قوات الصلبيين بالقرب من سواكن، وكذلك تقوية الروابط بين الدول الإسلامية وبين الأعداد المتزايدة من المسلمين والعناصر العربية التي استقرت في سودان وادي النيل(٥).

جدة(حمساء بنت حبيش: النشأة والتطور التاريخي، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين، ع١١، ديسمبر ٢٠٢١م، ص ٦٤- ٦٥).

(١) ابن بطوطة: الرحلة، جـ١، ص٢٥٣:٢٥٤.

(٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، جـ١، ص٢٨٩.

(٣) يشير المقريزي نقلا عن – ابن سليم الأسواني– أن النوبة عندما كانت تقصد بلاد الزنج كانت تذهب عبر البحر الأحمر في منطقة رأس حفري (المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٤)، ولعلها رأس دوائر التي أشار إليها ابن بطوطة القريبة من سواكن (الرحلة، جـ١، ص٢٥٣).

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٧٦.

(٥) صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية، ص١٠٩.

وقد حانت الفرصة لدولة المماليك في مصر من السيطرة على سواكن في العام ٦٦٤هـ/١٢٦٤م حين تعرض حاكمها للتجار المسلمين وأساء معاملتهم، فأرسل إليه سلطان مصر حينها حملة حربية لتأديب صاحبها وسكانها، فتوجه إليها بأسطول بحري يزيد عن أربعين مركبًا، وفتحها في ذات العام المذكور وأقام بها ومهدها وأقر أحوالها، وقد قام حاكمها بعدة محاولات لإعادة نفوذه عليها لكن باءت مساعيه بالفشل(١).

والواضح من سيطرة السلطة في مصر آنذاك على سواكن كان غرضًا سياسيًا وتجاريًا بعيد الأثر؛ لأنه يعني إحكام السيطرة والرقابة الإسلامية على المنفذ التجاري البحري الوحيد للنوبيين من ناحية، كما يُعتبر تهديدًا مباشرًا لمعاقل المسيحية في سودان وادي النيل من ناحية أخرى، وبذلك بات أخر المعابر التي كانت تجد فيها ممالك النوبة منفذًا تجاريًا لها إلى العالم الخارجي تحت نفوذ الدولة الإسلامية، مما أدى إلى الضرر بمصالحها الاقتصادية وعزلها عن العالم الخارجي، لاسيما اتصالها بالأراضي المقدسة بفلسطين(٢).

وبما أن أمر سقوط سواكن أصبح في نظر النوبيين خطرًا محدقًا لمصالحهم الاقتصادية والتجارية وتهديدًا مباشرًا لدولتهم؛ كان لهم رد فعل مباشر تمثل في نقض الصلح الذي كان قائمًا بين مصر والنوبة، ثم الهجوم على عيذاب وأسوان عام٦٧١هـ/١٢٧٢م(٣). الذي كان دافعه الرئيس استيلاء المماليك على سواكن(٤). ولكن رغم محاولات النوبيين إعادة السيطرة عليها واسترداد نفوذهم فيها، بذل المماليك كل ما في وسعهم لحمايتها وإقرار سلامة التجارة بها، فقد كانوا يرسلون إليها الحملات العسكرية باستمرار، ففي العام٧١٦هـ/١٣١٦م وجه المماليك حملة للقضاء على عبث العربان في الطريق بين عيذاب وسواكن، وفرض هيمنتهم على هذه المنطقة وتأمين التجارة المارة بها(٥).

وقد تشاركت البُجة مع السلطة المصرية في إدارة سواكن، وكثيرًا ما كانت تقوم بمجهود حربي في هذه المنطقة لضمان سير التجارة إليها، خاصة على أصحاب الجزر الأخرى في المنطقة، والغرض من سعي البُجة لإقرار السلام في هذه المنطقة عبر البحر؛ هو تأمين الطريق أمام السفن التجارية التي كانت تفد إليها، خاصة مراكب الكَارِم الآتية من بر العرب والحجاز واليمن(٦). ولم

(١) النويرى: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ط٣، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١م، ص٤١- ٤٢.

(٣) ابن أبي الفضائل: النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق محمد كمال الدين، ط١، دار سعد الدين للطباعة، دمشق- سوريا، ٢٠١٧م، ص ١٩١.؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢٣٩- ٢٤٠.؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ٢، ص٨٣.

(٤) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٤٥.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٥١٦.؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، ق١، ص٤٤٧.

(٦) ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، ص٥١.

يقتصر سعي البُجة إلى إقرار الأمن في بحر سواكن بل امتد إلى برها، فعملوا على إخضاع القبائل العربية القاطنة في هذه المنطقة تحت طاعتهم، خاصة عرب (جهينة) و(بني كاهل)، وقاموا بالإشراف على الطرق البرية التي كانت تصل سواكن بالمراكز التجارية لاسيما الطريق الذي كان يربطها بعيذاب، فضلًا عن توفير موارد المياه به والتي تمثلت في حفر الآبار(١).

ووفقًا لما تم ذكره يتضح مدى التنافس بين القوى المختلفة في العصر الإسلامي من السلطة في مصر والعناصر العربية والبُجة والنوبيين خلال محاولاتهم السيطرة على الطريق بين عيذاب وسواكن، وسعي كل منهم لفرض نفوذه عليه، وإن دلَّ ذلك فإنما يدل بطريقة عملية على مدى القيمة الاستراتيجية والاقتصادية لهذا الطريق آنذاك. ولكن في ظل هذا التنافس القوى بين العناصر المختلفة، تشارك الجميع في نشاط هذا الطريق وتفاعله، ليمثل أحد مظاهر التواصل الحضاري بين مصر وسودان وادي النيل.

ب – الطريق بين العلاقي في مصر وعُلوة من النوبة في السودان:

يعد وادي العلاقي من أهم المراكز التجارية في بلاد البُجة التي ربطت بين مصر وسودان وادي النيل في العصر الإسلامي، وترجع شهرته إلى زمن المصريين القدماء، حيث كان يمثل أهم مراكز استخراج الذهب آنذاك(٢)، وقد حدد الجغرافيون المسلمون موقعه بأنه يتوسط أرض الصحراء الشرقية في منطقة إقليم البُجة ، وكان الناس يدخلون منه إلى تلك البلاد، وقد شغل مساحة واسعة في قلب الصحراء، وقد أشار "ابن سعيد " إلى ذلك فقدر طوله ٦٣ درجة، وعرضه ٢٠ درجة و٣ دقائق(٣)، وأشار "ابوالفدا"(٤) إلى موقعه بأنه يبعد عن أسوان ١٢ مرحلة(٥)، وعن عيذاب ٨ مراحل.

(١) ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٨٩.

(٢) جميس هنري برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص٩، ٢٧٨.؛ سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ٦، ص١١٠، ١١٢.؛

-Thomas,E.S: The Ancient Mine Plan of TurinPapyrus, Cairo Scientific Journal, 1913.pp160:168 .

(٣) بسط الأرض في الطول والعرض، ص٥٠.

(٤) أبو الفدا: المصدر السابق، ص١٢١.

(٥) المرحلة: وحدة تقليدية لقياس المسافات، استخدمت في التاريخ الإسلامي، وتُقدر بالمسافة التي يقطعها المسافر في يوم واحد سيرًا على الأقدام أو على الدواب، وقد يتغير طول المرحلة وفق ظروف السفر ومجموعة من العوامل منها الظروف الجغرافية ووسيلة النقل والسرعة والراحة، وقد وردت في المصادر التاريخية بأوصاف مختلفة تدل على تباين مسافتها، منها مرحلة لطيفة (الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٢٥٢)، ومرحلة كبيرة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧١)، ومرحلة خفيفة (ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٦)، وتقدر بثمانية فراسخ ، والفرسخ ما بين ٥,٥ إلى ٦ كم وقد تزيد أو تنقص(أبو الفدا: تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠م، ص٧٣)، وقد حددها بعض الباحثين بأنها تُقدر ما بين ٢٢–٢٧ميلا، أي ما يعادل

ومن خلال الحديث عن موقع العلاقي يتبين أنه يتوسط المسافة بين النيل والبحر الأحمر، مما جعله الرابط بينهما، وبالتالي ترتب عليه أن تخرج منه أو تمر به عدة طرق، ربطته هو الأخر بكل من البلاد القائمة حوله في سودان وادي النيل. فقد كان هناك طريق يربطه بعيذاب جهة الشرق، والذي قدر طوله "اليعقوبي"(١)، و"ابن رُسْتَه"(٢) بأربع مراحل، بينما قدره "الإدريسي"(٣) باثني عشر يومًا، أما "أبو الفدا"(٤) قدره بثماني مراحل. وكان هناك طريق أخر يربط بأسوان جهة الغرب، وقد قدر طوله "القلقشندي"(٥) باثنتى عشرة مرحلة، واتفق على ذلك "أبو الفدا"(٦)، أما "المسعودي"(٧) فاختلف معهما وقدره بطول بخمس عشرة مرحلة. وإن تضاربت أقوالهم في تحديد المسافة من وإلى العلاقي، فإنهم يتفقون من ناحية أخرى في رسم الصورة العامة له، وكيف كان يمثل حلقة الوصل بين سائر البلدان، مما جعل منه مركزًا تجاريًا مهمًا في قلب الصحراء المصرية.

وقد ربط هذا الوادي بين مصر وسودان وادي النيل جهة الجنوب، فقد كان يربطه طريق يصل إلى بلاد النوبة الجنوبية في مملكة عُلوة، حيث كان يمر عبر الأودية المتفرعة منه جنوبًا، مخترقًا أرض البُجة في الصحراء الشرقية حتى يصل إلى مملكة عُلوة بعد مسيرة ثلاثين مرحلة(٨)، دون أن يمر بمملكة النوبة الشمالية المَقُرَّة؛ نظرًا لأن العلاقات بين المملكتين النوبيتين وصفت بالتوتر والعداء قبل انتشار المسيحية بها(٩).

---

٤٠ أو ٥٠ كم، وآخرون قدروها بـ ١٦ ميلا، أي ما يعادل ٣٠ كم (محمد عمراني زريفي: المقاييس في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: وحدة الذراع الشرعي أنموذجا، دورية كان التاريخية، ع٣٢، يونيو٢٠١٦م، ص١٨٢- ١٩٢).

(١) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٢.

(٢) ابن رُسْتَه: الأعلاق النفيسة، طبعة ليدن، ١٨٩٢م، ص٣٣٥.

(٣) الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص٤٧.

(٤) أبو الفدا: المصدر السابق، ص١٢١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٧٤.

(٦) أبو الفدا: المصدر السابق، ص١٢١.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص٢٠.

(٨) ابن رُسْتَه: المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢١.؛ وقد ظلت العلاقات العدائية بين المملكتين قائمة حتى فتح النوبة الشمالية عام ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أنه سادت العلاقات الحسنة مع الدولة الإسلامية في مصر، ومن مظاهر ذلك إلقاء ملك عُلوة القبض على بني جلدتهم ممن قام بالعداء ضد مصر الإسلامية وإرساله للسلطان في العام ٦٧٤هـ/١٢٧٦م (ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين رزيق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢م، جـ٧، ص٥٠)، وقد استمرت العلاقات الحسنة بين المماليك وعُلوة حتى عهد ابن قلاوون، والذي وضحت خلال شكوي ملكها للسلطان عام ٦٧٥هـ/ ١٢٨٧م عما صدر من ملك دنقلة ضد بلاده، وقد وأرسل مع رسله الهدايا للسلطان (ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار، ط الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٤٣).

والواضح أن هذا الاتصال الذي ربط مملكة عُلوة جنوبًا بممالك البُجة شرقًا بسودان وادي النيل، حدث بفضل العرب المسلمين الذين استقروا على ضفاف عطبرة من أرض البُجة، وكانوا يقومون بالتجارة والأسفار في هذه المناطق التي خضعت لنفوذ مملكة عُلوة آنذاك، مما سهلت للتجار حرية الحركة وممارسة التجارة في الإقليمين(١).

وقد بدأ شمال الطريق الذي ربط بين العلاقي وعُلوة من جنوب العلاقي في موضع عُرف بـ (كباو)، ثم يتجه جنوبًا إلى الأبواب- كبوشية الحالية- حتى ينتهي في (سُوبا) عاصمة عُلوة، وقد اعتمد نشاط هذا الطريق في المقام الأول على تجارة الذهب، حيث كان يُستخرج من بلاد النوبة من موضع يقال له (بركان)(٢)، ليتجه بعدها إلى وادي العلاقي؛ كونه أكبر أسواق تجارة الذهب في العصر الإسلامي.

ورغم شهرة بلاد النوبة بمعدن الذهب، إلا أن المصادر العربية لم تُشر إلى مواطن استخراجه منها بعد زمن اليعقوبي (ت:٢٨٤هـ/٨٩٧ م)، مع أن "ابن سليم الأسواني" أشار إلى كثرة الذهب الموجود في مملكة عُلوة(٣). والمرجح أن هذا الذهب كان يُنقل إليها عبر التجارة من البلاد المجاورة، خاصة كان يجاورها جهة الغرب قومٌ عرفوا بالأحديين، كان بينهم وبين عُلوة مسافة خمس مراحل، حيث يُكثر الذهب ببلادهم على حد قول "ابن حوقل":"...وفيهم- أي الأحديين- الذهب الجيد والتبر الخالص والحديد(٤)، مما يدل على أن هذا الطريق الذي كان ربط العلاقي بعُلوة، كان يتصل بشبكات طرق ومعابر أخرى داخل سودان وادي النيل حتى امتدت إلى روافد النيل جهة الغرب.

والواضح أن عُلوة اتجهت إلى وادي العلاقي لتجارة الذهب كونه سوقًا رئيسًا لهذه السلعة، والتي مثلت الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها حركة التجارة في هذا الوادي في العصر الإسلامي، وقد عبّر "الإدريسي" عن هذا المعني بقوله عن تجارة الذهب بالعلاقي:"... بعدما يجمعوه تبايعوه بينهم، واشتراه بعضهم من بعض، ثم يحمله التجار إلى سائر الأقطار، ومنه معايشهم ومبادئ مكاسبهم وعليه يعولون"(٥). ثم يُنقل بعد ذلك من العلاقي إلى ميناء عيذاب، والتي أشار إليها "ابن حوقل" في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنها صارت تشتهر بميناء الذهب(٦). وبهذا يكون وادي العلاقي ربط بين وادي النيل وساحل البحر الأحمر من ناحية، ومصر وبلاد النوبة في سودان وادي

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٧.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٢، ١٧٣.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٤.

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٦٢.

(٥) نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٦.

(٦) صورة الأرض، ص٥٠.

النيل من ناحية أخرى، فقد مثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب من خلال شبكات الطرق والمعابر التي ربطت بينه وبين جميع البلاد، مما جعل منه مركزًا تجاريًا مهمًا في قلب الصحراء يفد إليه ومنه التجار إلى سائر الأقطار(١).

واستنادًا إلى ما سبق يتبن كيف مثلت الطرق والمعابر في إقليم البُجة حلقة الوصل بين مصر وسودان وادي النيل في العصر الإسلامي، فأسهمت في تعزيز العلاقات بينهما، مما انعكس على مختلف جوانب الحياة الحضارية لبلاد سودان وادي النيل.

ثانيًا: الطرق والمعابر بين مصر وسودان وادي النيل في إقليم النوبة.

لقد كانت مصر وبلاد النوبة مسرحًا لممارسة النشاط الحضاري منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد تشارك المصريون القدماء والنوبيون مختلف جوانب الحياة، فوحدة وادي النيل مبدأ أوجدته الطبيعة وفرضته، حيث يرجع تاريخ المعاملات بين مصر وبلاد النوبة منذ استقرار الشعوب على ضفاف النيل قبل الميلاد، حيث تمكن المصري القديم أن يجوب بلاد سودان وادي النيل في أرض النوبة السفلي والعليا حتى حدود بلاد كوش(٢)، عبر الطرق والمعابر التي ربطت بينهما(٣).

ويمكن تتبع الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في عصر الدولة القديمة في مصر، من خلال النقوش التي تركها لنا قادة الحملات على جدران مقابرهم والصخور التي على ضفتي النيل، وقد تبين الخلال القرن المنصرم من عصرنا الحالي، أن الطرق والمعابر القديمة كانت ولا تزال تُستعمل إلى الآن، وهي ثلاث طرق: الأول وهو الطريق النيلي الذي تسير فيه القوافل بحذاء النيل، والثاني تخترقه القوافل عبر الصحراء الشرقية وفيافيها الشاسعة، والثالث تجوبه القوافل في الصحراء الغربية(٤).

---

(١) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٢.؛ ابن رُسْتَه: المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٢) كوش: عرفت أرض وبلاد السودان عند المصريون القدماء باسم أرض الكوش (Kush) أو قبائل كوش، وورد هذا الاسم في قراءات متعددة في الواح تل العمارنة، التي كُتبت في القرن السابع عشر قبل الميلاد، أي في عصر الدولة القديمة الوسطي في مصر، وقد ذكر هذا الاسم في التوراة، ويرجع سبب إطلاق اسم كوش على بلاد السودان التي تقع جنوب الشلال الأول، إلى أن قبيلة كوش هي القبيلة الأكثر قوة وعددًا، وكانت هذه القبيلة قد سكنت في حوض النيل، وفيما يبدو أنها القبيلة الأكثر قوة وعددًا، استطاعت أن تسيطر على القبائل المجاورة لها، وصار النفوذ والحكم فيها، حتى صارت منطقة السودان جميعًا تسمي على اسمها، وقد اتخذت من (نوبتا) مركزا وعاصمة لها.(مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ص١٤- ١٥.؛ محمد أحمد عبدالكريم: النوبة من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الاخشيدي في الفترة من٢٠-٣٥٨هـ/٦٤٠-٩٦٩م، رسالة ماجستير- غير منشورة- كلية الآداب، جامعة القاهرة٢٠٠٩م، ص١٩- ٢٠).

(٣) عبدا لله حسين: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣م، جـ١، ص٤٢.

(٤) سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، موسوعة مصر القديمة، الجزء العاشر: تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخي، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٩م، ص٥٨ وما بعدها.

والواضح أن مسارات هذه الطرق والمعابر نشأت بين مصر وبلاد النوبة في عصر الدولة القديمة بغرض اقتصادي، خاصة بغية الحصول على منتجات وسلع سودان وادي النيل، والتي سعت مصر لجلبها من تلك البلاد على ظهور الحمير أو عن طريق سفن النيل منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، حيث كانت تذهب القوافل من مصر محملة بنسيج الكتان والعطور والأسلحة من النحاس والزيوت والتمائم، وتعود محملة بخشب الأبنوس والجلود والصمغ وريش النعام والبخور(١)، وقد كانت قوافل النوبة تأتي عبر هذه الطرق والمعابر أيضًا إلى أسوان لتبادل السلع النوبية بالمصرية(٢).

ولم تقل أهمية هذه الطرق وتجديد مسارها في مصر مع قيام دولة البطالمة، حيث بدأت ملامح مرحلة جديدة من العلاقات بين مصر وسودان وادي النيل، فقد سعى البطالمة إلى إقامة دولة قوية وعصرية في مصر تتربع على عرش الممالك اليونانية بحوض المتوسط، لذلك حرصوا على الحصول من خلال هذه الطرق والمعابر على المواد الاستراتيجية من بلاد سودان وادي النيل مثل الحديد والنحاس، والمعادن الثمينة مثل الذهب والفضة، إلى جانب الأخشاب وسن الفيل. كما عملوا على أن يكون الميزان التجاري لصالحهم، فصدروا إلي تلك البلاد الحاصلات الزراعية والمصنوعات المصرية(٣). كما استخدموا هذه الطرق في إرسال الحملات العسكرية للتوغل داخل بلاد النوبة جنوبًا؛ بهدف تأمين حدود مصر الجنوبية وفرض نفوذهم على ملوكها، وكذلك تحقيق المزيد من الكشف الجغرافي في أعالي النيل داخل القارة الإفريقية، بالإضافة إلى صيد الأفيال لاستخدامها في الحروب(٤).

أما في عصر الدولة الرومانية فطبقت الإدارة السياسية اجراءات تكفل الأمن على حدود مصر الجنوبية عند أسوان ابتداءً من الشلال الأول، دون التوغل جنوبًا في بلاد النوبة (٥). إلا أن هذا لم يمنع الطرق والمعابر بين مصر وسودان وادي النيل من أداء دورها في نشاط حركة التجارة بين البلدين، مما استرعى انتباه الرومان لاتخاذ الإجراءات العسكرية لبسط نفوذهم على هذا الإقليم الذي كان مسرحًا لهذا التفاعل، فتقدموا جنوبًا للسيطرة على إقليم دوديكاشينوس (Dodekaschoinos)

(1) J. H. Breasted: op. cit. p. 336.

(٢) محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص٩٢.

(٣) سيد أحمد على الناصري: دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وإفريقيا في عصور ما قبل الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٦.

(٤) مصطفي العبادي: الحدود الجنوبية لمصر في العصرين البطلمي والروماني بين التامين والمصالح الاقتصادية والدبلوماسية الدينية، ضمن كتاب الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، إعداد عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١١٣- ١١٤.

(٥) مصطفي العبادي: المرجع السابق، ص١١٨.

الذي كان يمتد من أسوان إلى منطقة المحرقة، لكونه يتحكم في الطرق المؤدية إلى الأقاليم الجنوبية من بلاد سودان وادي النيل(١).

غير أن هذه الطرق والمعابر في العصر الإسلامي أصبح لها في مصر دور حيوي ومهم، حيث فطن العرب الفاتحون لقيمة تلك الطرق والمعابر في تجارة مصر منذ البدايات الأولى لفتحها، فلم تكد تصل جيوشهم إلى جهة النوبة حتى أشركوهم في الصلح الذي عقده عمرو بن العاص- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لأهل مصر في العام٢٠هـ/٦٤١م – بغرض ضمان استمرار دور الطرق والمعابر التي ربطت بين تجارة البلدين، والذي جاء فيه:" بأن على النوبيين الذين يدخلون في الصلح مع المسلمين أن يعينوا بكذا وكذا رأسًا، وكذا وكذا فرسًا، وعلى ألا يغزوا أو يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة"(٢).

وإذا كانت العلاقات السياسية بين مصر والنوبة قد اتخذت مظهرًا عدائيًا في بداية العصر الإسلامي، والذي تمثل في الإغارة على حدود مصر الجنوبية عند أسوان، فإن ذلك يمكن تفسيره بأنه يمثل دليل ورغبة مؤكدة للاتصال، والتمسك بتحقيق استمرار الروابط بين البلدين وإن اختلف المعتقد، مما يوضح مدى حاجة النوبة لمصر آنذاك، فأنها تحاول ساعية إليها ولو عن طريق الإغارة، وهذه هي طبيعة الدول المتجاورة، حيث لا تقف الحدود عقبة في سبيل استمرار العلاقات بينهما، خاصة إذا كانت إحداها أرقى حضاريًا، فإن توقف إشعاعها الحضاري لأى سبب من الأسباب، يكون دافعًا للدول المجاورة – التي افتقدت ذلك المد الحضاري- إلى السعي لاستمرار الاتصال بأي وسيلة، وإن كانت ذات مظهر عدائي(٣).

وعلى كل حال فما أن أتم العرب المسلمون فتح مصر منذ العام٢١/٦٤١م، حتى تقدموا جنوبًا عند أسوان بغية ضبط الحدود الجنوبية لها، والحفاظ على مسير الطرق والمعابر التي ربطت بين البلدين واستمرار دورها الحضاري، لذلك اتخذت الإجراءات العسكرية الحاسمة في العام ٣١هـ/٦٥٢م(٤)، والتي أسفرت عن توقيع معاهدة بين مصر الإسلامية ومملكة المَقُرَّة النوبية المسيحية،

(١) مصطفي مسعد: البُجة والعرب في العصور الوسطي، ص١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧م، جـ٤، ص ١٠٩.

(٣) محمد عبدالعال أحمد: النوبة والمحاولات الاسلامية لفتحها فيما بين عامي (٢٠- ٣١هـ/ ٦٤١- ٦٥٢م)، الندوة الدولية لحوض النيل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مارس١٩٨٧م، ص٦١.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٦١م، جـ١، ص ٢٥٢.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، جـ١، ص٥٠.؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٧٠.؛ ابن الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أُولْرِخ هارمان، نشر عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧١م، جـ ٨، ص ١٨٧.؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٠، ص ٣٤٨.؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، جـ٧، ص٤٤.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٥٤٢.

وهي المعاهدة التي عُرفت بـ(البقط)[١]، والتي ضمنت بعض بنودها من غير شك للدولة الإسلامية في مصر الاطمئنان على حدودها الجنوبية وسلامة الطرق والمعابر وحرية مرور التجارة بين البلدين[٢]، والذي نص على:"... أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتي يخرج عنكم.." [٣].

مما يعني هذا أن المسلمين في مصر كان باستطاعتهم أن يتوجهوا إلى بلاد النوبة للتجارة عبر الطرق والمعابر القائمة بين البلدين، والإقامة فيها بصفة مؤقته لحين انتهاء مهامهم التجارية، علاوة على تأمين أموالهم وأنفسهم، والمحتمل أن المسلمين في مصر بدأوا يدخلون إلى بلاد النوبة عبر هذه الطرق والمعابر قبل إبرام معاهدة البقط التي لم تكن تُشرِّع للمستقبل بقدر ما تفرض حقيقة واقعة[٤].

ومما يسترعي الانتباه أن العلاقات العدائية بين مصر الإسلامية ومملكة النوبة المسيحية في العصر الإسلامي لم تؤثر على نشاط تلك الطرق والمعابر بين البلدين، فرغم حذر النوبيين من توجه مسلمي مصر نحوها أو عبورهم جنوبًا، واتخاذ الإجراءات الاحتياطية للإحالة دون ذلك[٥]، إلا أن الطرق والمعابر بين البلدين ظلت تؤدي دورها بفضل أبناء كل من البلدين المشتغلين بالتجارة[٦]. وذلك من خلال اجتماعهم في سوق مشترك يربط بين شبكات الطرق والمعابر المتجاوزة الحدود السياسية للبلدين، حيث اختاروا مدينة بِلاق (جزيرة فيلة) التي كانت تبعد عن أسوان أربعة أميال، فكانت بمثابة سوق للتبادل التجاري للبلدين، حيث كانت تأتي إليه سفن وتجارة النوبة، وكذلك سفن

(١) البقط: ما كان يؤخذ من النوبة كل عام في قرية القصر، على بعد خمسة أميال جنوبي مدينة أسوان، ولفظ (البقط) حسب اجتهاد بعض الباحثين، لفظ مشتق من أحد أصلين، الأول: لاتيني يوناني الأصل وهو (Pactum) ومعناه الاتفاق أو الموادعة. والثاني: مصري قديم وهو:(باك)، ومعناه الضريبة التي تدفع عينًا. وذكر أيضًا أن البقط ربما يدل على لفظ مصري قديم معناه العبد (Trimingham, j.s: Islam in the sudan, lonbon, 1949, p. 62) وعرفه المقريزي (المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٢)، بأنه ما يُقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم، ومعناه بعض ما في أيدي النوبة (مصطفى محمد مسعد: معاهدة البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود، ع ٥، السعودية، ١٩٧٥م، ص٤٧٨).

(٢) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص٢٨٦.

(٣) للمزيد عن بنود المعاهدة يُراجع، المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٣- ٥٤٤.

(٤) حسن محمود: نفس المرجع، ص٢٨٦.

(٥) ذكر مؤرخ النوبة: أن للنوبة جنوب أسوان وال من قبل عظيم النوبة على إقليم المريس، يعرف بصاحب الجبل من أجلّ ولاتهم لقربه من أرض الإسلام، ومن يخرج إلى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه في تجارة أو هدية إليه، أو إلى مولاه يقبل الجميع، ويكافئ عليه بالرقيق، ولا يطلق لأحد الصعود إلى مولاه لمسلم ولا لغيره (المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥١٨).

(٦) سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٢٨٠.

وتجارة المسلمين من مصر وأسوان(١).

ولم يكن اختيار بِلاق كمركز يربط مسارات الطرق البرية والنهرية بين مصر والنوبة اختيارًا عفويًا؛ بل اختيار حتمته الظروف الطبيعية في منطقة الشلال، تلك المنطقة التي كانت صعبة المسلك ومليئة بالصخور، لا تستطيع المراكب السير فيها إلا بالحيلة(٢). وإزاء ذلك كان لابد لسفن النوبة أن تتوقف عند بِلاق لعدم استطاعتها السير شمالاً خلال منطقة الشلال الوعرة، وكذلك كان من المحتم أن تتوقف السفن المصرية الآتية من أسوان، إذ لا تستطيع الإبحار جنوبًا إلا بصعوبة(٣).

وهكذا ظلت الطرق والمعابر تربط بين البلدين وتؤدي دورها الحضاري بصمت، ما دامت معاهدة البقط المبرمة منذ العام ٣١هـ/٦٥٢م سارية بين الدولة الإسلامية في مصر ومملكة المَقُرَّة النوبية المسيحية، وقد استمرت في سريانها لمدة تقارب سبعة قرون تنظم العلاقات بين مصر وبلاد النوبة(٤)، مما جعلها من أطول المعاهدات في التاريخ، ورغم أن النوبيين نقضوا الاتفاقية في بعض الأحيان، وامتنعوا عن الالتزام بما جاء فيها من شروط، إلا أنهم لم يمنعوا مزاولة النشاط التجاري عبر الطرق والمعابر التي ربطتها بمصر؛ وقد يكون السبب في ذلك أن النشاط التجاري يغلب عليه- في معظم الأحيان- الطابع السلمي، ونستطيع القول: أن مملكة النوبة المسيحية كانت تسير على مبدأ جوهره أن العلاقات التجارية بين البلدين، لا دخل لها بالعلاقات العدائية بينهما(٥).

غير أن حركة الطرق والمعابر بين البلدين برز دورها بشكل ملحوظ منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك حين اتجهت سياسة السلطة الإسلامية في مصر خلال عصر المماليك من بسط نفوذها على مملكة النوبة الشمالية منذ عام٦٧٤هـ/١٢٧٦م(٦)، وعقب توطيد السلطة سيادتها على بلاد النوبة توطيدًا تامًا، أصبحت أرضها ضمن التقاسيم الإدارية لمصر، وأهتمت السلطة بصيانة جميع الطرق والمعابر التي ربطت مصر بالنوبة، خاصة بعدما أنشأت حركة للبريد في تلك البلاد(٧)، وكذلك إنشاء ديوان جديد تخصص للنوبيين، للإشراف على ما يُستخرج من بلادهم من جزية وخراج،

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٧.

(٢) المقريزي: المواعظ ولاعتبار، جـ١، ص٥٤٠.

(٣) محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطي، ص٩٢.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص٥٤٩.

(٥) محمود الحويري: المرجع السابق، ص٩٤.

(٤) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٤٦.؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٣٤٤- ٣٤٨.؛ العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٧، ص٢٨١.؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد والدرر الفريد، ص٢٠٦- ٢٠٩.؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، جـ٧، ص٥١.؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٩-٤٦٠.؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٦٦.؛ المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٩٤- ٩٥.

(٧) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عهد دولة المماليك البحرية، ص٨٢.

ومتابعة انتظام سير الطرق والمعابر فيها(١)، هذا فضلاً عن سير تحركات القوات العسكرية عبرها ذهابًا وإيابًا لتدعم سيادتها على بلاد النوبة وحماية أسوان.

ومنذ ذلك الحين أصبحت مسارات الطرق والمعابر بين مصر وإقليم النوبة الشمالي مهيأة ومفتوحة لنشاط المسلمين في مصر من العاملين بالتجارة لينفذوا بسلعهم إلى جميع أنحاء بلاد النوبة، خاصة بعدما درجت سلطة المماليك على التدخل في شئون النوبة الداخلية، من تنظيم شؤونها وحماية تجارتها وتأمين طرقها(٢). وفي واقع الأمر إن اهتمام سلاطين المماليك بالطرق والمعابر التي ربطت مصر ببلاد النوبة نابع من اهتمامهم بعلاقات مصر التجارية مع هذه البلاد، حيث حرصوا على أن تأتي سلع النوبة إلى مصر من غير انقطاع أو حدوث أية عوائق في سبيل وصولها، ومن أمثلة ذلك إلغاء عدة مكوس في العام ٧١٥هـ/١٣١٥م منها ما كانت تُحصَّل على تجارة النوبة من الرقيق عند نزولهم الحانات(٣).

وقد بلغت الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل من الأهمية في العصر المملوكي، ما جعل السلطة تبعت سياسة عدم السماح لأي تاجر أوربي بأن يسافر بتجارته جنوبًا إلى بلاد النوبة تحت أي ظرف من الظروف؛ وربما كان السبب وراء ذلك هو حرص تلك السلطة على أن تبقى طرق ومعابر بلاد سودان وادي النيل وتجارتها سرًا من أسرارهم، لا يصل الأوربيون إلى معرفته(٤)، وهذا الطرح يؤيده أن ثغر أسوان في العصر المملوكي لم يكن ضمن الثغور المصرية، التي فُرضت فيها رسوم جمركية على السلع التي يأتي بها التجار الأوربيون مثل ثغر الإسكندرية(٥).

والواضح فيما سبق أنه في الوقت الذي تأثرت فيه حركة الطرق والمعابر بين مصر وبلاد النوبة في العصر الإسلامي بالعلاقات السياسية بين البلدين، أثرت أيضًا في العلاقات الاقتصادية بينهما، الأمر الذي ترتب عليه تعزيز الاتصال الحضاري بينهما، ولأن أرض أسوان كانت الشاهد على جميع تلك العلاقات كونها بوابة مصر الجنوبية، وفي نفس الوقت أهم أبواب النوبة الشمالية، وملتقي الطرق والمعابر التي ربطت بين البلدين، لذلك أولتها السلطة الإسلامية في مصر الاهتمام

(١) كرم الصاوي: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٦م، ص٩٨.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص٨٢.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، ص٥٠٨.

(٤) محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص١٠٠.؛

- Mohammed Mostafa, Ziada ; Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century, 1422-1517. PhD thesis, University of Liverpool, 1930, p.216.

(٥) ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٣٤٩.

طلية العصر الإسلامي، حتى بات يُطلق عليها اسم (رباط أسوان)[١]، وأحيانًا (ثغر أسوان) أو (ثغر النوبة) أو (ثغر البُجة والنوبة)[٢]، وأحيانًا أخرى (ثغر أسوان المحروس)[٣]، فاهتموا بحفظه وضبطه وأكثروا فيه من الجند الأقوياء المدربين وجميع آلات الحرب والدفاع، كسائر الثغور الإسلامية[٤]. ومن ذلك يمكن القول بأن الطرق والمعابر التي ربطت مصر وبلاد سودان وادي النيل في النوبة في العصر الإسلامي من أسوان وإليها كان أهمها الطرق الآتية:

أ- طريق شرق النيل بين أسوان في مصر ودنقلة في النوبة ببلاد السودان:

يُعد الطريق القائم على الضفة الشرقية لنهر النيل بين أسوان ودنقلة من أهم طرق النقل والمواصلات الذي ربط بين مصر وبلاد النوبة، بل يكاد يكون الطريق الرئيس الذي جاءت عن طريقه كل منتجات بلاد سودان وادي النيل إلى مصر، من ذهب وعاج وأبنوس وجلود الفهود وريش النعام وغير ذلك من منتجات تلك البلاد[٥]. ورغم إشارة المصادر التاريخية في العصر الإسلامي لهذا الطريق، خاصة مصادر العصر المملوكي التي كتبها "ابن عبدالظاهر"، و"النويري"، و"العُمري"، و "ابن أبي الفضائل"، و"ابن فرات"، و"القلقشندي"، و"المقريزي"، و"ابن تغري بردي"، و"ابن إياس" خلال ذكر الأحداث التي تناولت خط سير الحملات العسكرية التي وجهتها السلطة تجاه بلاد النوبة، إلا أنهم لم يشيروا إلى محطات مسار هذا الطريق وتحقيق منازله، رغم أنها أصبحت مفتوحة أمام المصريين منذ فتح بلاد النوبة عام٦٧٤هـ/١٢٧٦م. ومردّ ذلك الصراع العسكري العنيف الذي احتدم في النطاق الجغرافي لهذا الطريق، بين السلطة المملوكية وقوة بني الكنز[٦] لفرض النفوذ على أسوان

(١) ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصّها، تحقيق علي محمد عمر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م، جـ١، ص ٥١.

(٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٢٦٥؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٥١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جـ١، ص ٣٩؛ مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، جـ١، ص ٨٧؛ أسعد بن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٢٥؛ النويري: نهاية الأرب، جـ١، ص ٣٥٤؛؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٦.؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٧؛ ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مطبوعات الكتبخانه الخديوية، المطبعة الأهلية، القاهرة، ١٨٩٨م، ص ١٩٥.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص١٢، ٢٠؛ ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٠٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص١٧٥.

(٤) الحسن بن عبد الله العباسي: آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٣٢٦؛ محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص ١٥.

(٥) محمد جمال الدين مختار: آثار النوبة ومحاولة إنقاذها، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد السابع، عام١٩٦٢م، ص٥٨.

(٦) وهي القوة التي تمثلت في عناصر قبيلة ربيعة العربية التي انتشرت في جنوب مصر زمن الخلافة العباسية، وقد بدأ دورها

وشمال بلاد النوبة. أما عدم الإشارة لمسار هذا الطريق في المصادر التاريخية التي سبقت العصر المملوكي، فهذا راجع إلى العلاقات العدائية التي كانت قائمة بين مصر الإسلامية ومملكة النوبة المسيحية، وما ترتب عليها من عدم السماح لمسلمي مصر العبور جنوبًا(١).

ورغم هذا يمكن تتبع مسار هذا الطريق والوقوف على منازله بداية من أسوان حتى دنقلة، من خلال الوصف الذي قدمه الرحالة السويسري" جون لويس بوركهارت" في غضون رحلته(٢)، والتي توجه فيها إلى بلاد النوبة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي عبر هذا الطريق، حيث ذكر أن القوافل كانت تسير في هذا الطريق جنوبًا بعد مغادرتها أسوان على الجانب الشرقي من النهر، حتى تمر على مدينة بِلاق على بعد أربعة أميال من أسوان، إلى أن تصل إلى منطقة دابود عند قرية ساق الجمل، ثم تتقدم جنوبًا إلى أودية السيالة وعبدون ودهميت(٣)، ومنها تواصل سيرها إلى قرتاس، ثم نجع الجامع، ثم تيفة، ثم قرية دار موسي، ثم وادي كلابشة وهو أكبر الوديان التي تمر بها الجمال منذ بداية مسيرها من أسوان(٤)، ثم تواصل القوافل سيرها إلى قرية الشقيق ووادي هور، مرورًا بقرية دندور ووادي أبيض وقرى ماريا(مريم) وقرشة وكشتمنة وكوبان، إلى أن تصل إلى العلاقي(٥).

وبعد أن تبلغ القوافل وادي العلاقي تستمر في سيرها مارة بأودية المحرقة والسيّالة ونعمة والنصرلاب والمضيق والسبوع والعرب وسنقاري إلى أن تصل كروسكو(٦). ثم تنتقل من كرسكو إلى

يبرز على مستوى الأحداث السياسية في أسوان منذ بدايات العصر الفاطمي، خاصة بعدما اتخذت من أسوان العاصمة السياسية لحكم القبيلة بدلاً من العلاقي ببلاد البُجة، ومن ذلك الوقت ظهرت إمارة ربيعة الناشئة في أسوان والتي بات يُطلق عليها إمارة بني الكنز أو الكنوز، وقد تمتعت بنفوذ سياسي من الدولة الفاطمية حتى امتد سلطانها إلى إسنا شمالاً، وبلاد البُجة شرقًا، وامتدت جنوبًا إلى أرض المريس ببلاد النوبة، وقد حاولت استغلال الأحوال السياسية والاقتصادية السيئة التي سادت مصر في العصر الإسلامي خاصة في العصر المملوكي لتستقل بأسوان وشمال بلاد النوبة (للمزيد يُراجع، عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية).

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥١٨.

(٢) جون لويس بوركهارت: الرحالة السويسري المولود عام ١٧٨٤م، والذي قام برحلة استكشافية مهمة إلى بلاد النوبة والسودان في أوائل القرن التاسع عشر، حيث بدأت رحلته من أسوان في ٢٢ فبراير ١٨١٣م، بعدما جمع المعلومات من التجار المحليين حول المنطقة والمسارات المؤدية إليها، وقد توجه جنوبًا على طول نهر النيل، مرورًا بقرى وبلدات نوبية، واستمرت رحلته حوالي خمسة وثلاثين يومًا إلى أن عاد إلى أسوان في ٣١ مارس ١٨١٣م،وقد وثق كل تفاصيل رحلته وصفًا تفصيليًا، و نُشرت مذكراته في لندن عام ١٨١٩م بعنوان "رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان" (للمزيد يُراجع، جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، مقدمة الكتاب).

(٣) بوركهارت: المرجع السابق، ص٣- ٨.

(٤) بوركهارت: نفس المرجع، ص٩، ١٠.

(٥) بوركهارت: نفسه، ص١١، ١٤.

(٦) بوركهارت: نفسه، ص ١٥: ١٧.

قرية بشير نيرقة، ثم ضراب، ثم وادي عشرا، ثم وادي الشباك، ثم وادي بستان، ثم قرية توشكي، ثم قرية أرمنا، ثم عقبة فريق الذي يقع أمامها على الضفة الغربية معبد أبي سمبل، ثم قلعة أدا التي تواجهها على الضفة الغربية قرية بلانة، ثم قري قسطل وادندان وفرس وسرة غرب ودبيرة واشكيت وديروسة وسقوي إلى أن تصل إلى وادي حلفا(١)، ثم تستمر الرحلة جنوبًا إلى أن تصل لسهول دنقلة الفسيحة ومن ثم العودة بنفس المسار(٢).

والمؤكد أن اختيار مسار هذا الطريق على الضفة الشرقية لنهر النيل لم يكن اختيارًا عفويًا؛ بل حتمته ظروف السفر والطبيعة القاسية لضفاف النيل في هذا الإقليم، حيث ينحصر النهر بين حائطين جبليين شديدي الانحدار، مخلفًا واديًا ضيقًا فيه قرى صغيرة أكثرها على الشاطئ الشرقي للنيل(٣)، ومما يزيد الحال صعوبة وقوع هذا الإقليم وسط نطاق عديم المطر، كما يكتنفه على الجانبين صحراء جافة جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة إلا في بعض مناطق الواحات(٤).

ويتضح من الطبيعة الجغرافية لهذا الطريق في بلاد النوبة من وقوعه في أرض صخرية قاسية ووعرة، فضلاً عن درجة الحرارة المرتفعة، وقلة الماء، وشدة الجفاف، مما يؤكد أن سلوكه صعب والمسير فيه لم يكن أمرًا سهلاً (٥). ورغم ما يكتنف هذا الطريق من الوعورة والمشقة، إلا أن له من الصفات الجيدة ما جعلته معبرًا رغب فيه التجار والمسافرون؛ حيث كان ذلك الطريق آمنًا، و لقرب النيل منه، فكلما أرادت القوافل أن تستقي أو تتزود بالماء اللازم لرحلتها توجهت إليه(٦).

ب- طريق درب الأربعين في الصحراء الغربية بين مصر وبلاد سودان وادي النيل:

لقد ظلت الصحاري الممتدة في جنوب مصر الممر الأول للعبور والتوغل جنوبًا نحو أراضي إقليم سودان وادي النيل(٧). ويعتبر طريق درب الأربعين بالصحراء الغربية أحد هذه الطرق والمعابر التي ربطت مصر وبلاد سودان وادي النيل من النوبة منذ القدم، فلعب هذا الطريق دورًا عظيمًا في العلاقات الاقتصادية بين البلدين على مر العصور التاريخية، فهذا الطريق قديم قِدم التاريخ الحضاري

(١) بوركهارت: نفسه، ص ١٧- ٣٧.

(٢) نفسه، ص ٣٨- ٥٧.

(٣) محمد عوض: السودان ووادي النيل، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) مصطفي محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٩-٢٠.

(5) C.f. Arkell: Ahistory of the Sudan form The carliest Times to 1821,London 1961. p.3 .

(٦) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠٠٤م، ج١٧، ص١٠٨.

(٧) صلاح الدين الشامي: دراسات في النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٣.

لمصر والنوبة[١]. حيث عبره المصريون القدماء بواسطة الجيوش والرحالة وقادة القوافل التجارية تجاه بلاد النوبة منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، فقد كان الشريان الرئيس لتجارة القوافل التي كانت قائمة بين مصر وبلاد سودان وادي النيل[٢].

وقد اشتهر هذا الطريق باسم درب الأربعين؛ لأن المسافة التي كانت تقطعها القوافل من بداية هذا الطريق حتى تصل إلى نهايته كانت تستغرق أربعين يومًا، فيما بين مديني أسيوط بمصر وكوبي الواقعة شمال غرب مدينة الفاشر الحالية عاصمة إقليم دارفور بالسودان[٣]، ولكن هذا لا يعني علي الدوام بأن مدة عبوره كانت تستغرقها جميع القوافل خلال أربعين يومًا، فقد تختلف المدة من رحلة إلى أخرى حسب ظروف السير ؛ فالمسافة ما بين أسيوط والفاشر تقدر بحوالي (١١١٧ميلاً)، وهذه المسافة يقطعها حامل بضائع غير مُثقل بالأمتعة في حوالي(١٢) يومًا، إلا أن القافلة المكونة من مئات الجمال تقطع نفس المسافة في(٤٥) يومًا، بينما تستغرق قافلة محملة بالعديد من الأمتعة والتجار والعبيد حوالي(٩٠) يومًا[٤]. حيث تتوقف القوافل لعدة أيام عند الواحات التي تقع على طول الطريق للراحة والتزود بالماء والطعام وكلأ الدواب، ويتتابع هذا الطريق في سلسلة من الواحات المتصلة في قلب الصحراء الغربية، بعدما تتجه غربًا من أسيوط لتصل إلى الواحات الداخلة ثم الخارجة، ومنها إلى واحة كركر غرب أسوان، ثم عبور الحدود السودانية والمرور بواحة سليمة ثم واحة العطرون قبالة وادي حلفا، ومنها إلى الفاشر بدارفور[٥].

وقد كان لهذا الطريق الرئيس فروع عديدة مختلفة تصله بالواحات الأخرى المنتشرة بالصحراء الغربية، ويمكن الوصول إليه من عدة مدن مصرية على النيل، فكان هناك طريق يصله بمدينة جرجا، وآخر بمدينة الأقصر، وثالث بمدينة أرمنت، ورابع بمدينة أدفو، وخامس بمدينة دراو، وسادس يربطه بأسوان، وكان هذا الطريق تشقه القوافل بسهولة؛ فأرضه رميلة سهلة السلوك ويمكن السير فيها بلا خبير لوضوحها، وهناك طريق آخر يلتقي به في إقليم دنقلة غربًا عبر وادي الملك[٦].

---

(١) أحمد فخري: مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢قبل الميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٩- ١٢٠.

(٢) شحاته آدم محمد: الرحلات والبعثات برًا وبحرًا فى مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى نهاية عهد الدولة الوسطى، رسالة دكتوراه – غير منشورة- كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٠.

(٣) يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي١٤٥٠-١٨٢١م، ط٤، الخرطوم سوداتك المحدودة، ٢٠٠٣م، ص١٠٣.

(٤) مصطفى كامل عبده: حكاية مصر وبلاد السودان، ص٦٥- ٦٦.

(5)C.f. Arkell: op. cit. p 42- 44.

(٦) محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطي، ص٩٦، ٩٩، ١٠٠.

ومن أهم صادرات هذا الطريق لمصر من بلاد سودان وادي النيل صادرات إقليم دارفور، والتي كان في مقدمتها الرقيق والأبل والعاج وريش النعام والصمغ والنحاس والذهب، أما واردات مصر إلى بلاد سودان وادي النيل عبر هذا الطريق فكان أهمها المنسوجات القطنية والحريرية والسجاد والأسلحة والمشغولات الذهبية والحلي بأنواعها والخرز وغيرها من الكماليات، وقد كان معظم الرقيق يُجلبون من القبائل الوثنية التي تسكن في جنوب دارفور أو منطقة بحر الغزال، وكان كثير من السودانيين يسعون للحصول على الرقيق؛ إما لبيعهم أو لدفع الضرائب للسلطة، وقد وصلت بعض القافل المارة بهذا الطريق إلى ألفي جمل وألف عبد، مما يدل على مدى رواج هذه التجارة عبر هذا الطريق(١).

جـ- <u>طريق العتمور(٢) بالصحراء الشرقية بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في النوبة:</u>

يعد هذا الطريق من أقدم المعابر التي ربطت بين مصر وبلاد النوبة، فيما بين كورسكو المصرية شمالاً، وأبو حمد السودانية جنوبًا رغم صعوبة مسلكه(٣). كما يعتبر من أهم الطرق التي نفذت منها الثقافة العربية إلى بلاد سودان وادي النيل؛ حيث نزحت من خلاله القبائل العربية إلى مواطنها الحالية في الأقاليم الشمالية لدولة السودان(٤). حيث لا يلازم هذا الطريق في مساره ضفة النيل؛ إنما يتجه عبر الصحراء جهة الشرق جنوب أسوان حتى يصل إلى كورسكو أو قبلها قرب حلفا، ثم يخترق صحراء العتمور جنوبًا حتى يلتقي بالنهر مرة أخرى في السودان عند بلدة أبي حمد الواقعة على خط عرض ١٦،٢٢شمالاً(٥).

وقد يصل طول هذا الطريق إلى مائتي ميل تقريبًا، وتغلب عليه الوعورة والجدب، وهذه المسافة ليست بالسهلة وسط الصحراء، إلا إنها أقصر بكثير ممن يسلك الطريق الذي يتبع ضفة مجرى النهر، وبالتالي فضلت كثير من العناصر العربية التي دخلت بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي

(١) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٢) العتمور أو العطمور: هي الصحراء السودانية الممتدة على الجانب الشرقي من النيل في الولاية الشمالية، ويحدها من الغرب جبال البحر الأحمر، أما حدودها الشمالية تبدأ من الحدود المصرية السودانية، بينما يحدها جنوبًا نهر النيل الذي يعرف باسم النيل النوبي عند الثنية الشمالية للنيل، في اتجاه من الشرق إلى الغرب فيما بين مدينة أبوحمد في ولاية نهر النيل السودانية، حتى مدينة الدّبة بالولاية الشمالية، حيث ينحني مسار النيل ليجري في اتجاه جنوبي غربي قبل أن يرجع لمساره الأصلي- شمالاً - قرب مدينة الدبة، ويطلق على هذا الجزء المنحني اسم (الانحناء العظيم للنيل). بعد عودته لمساره الأصلي، ويستمر في مساره حتى يصل إلى داخل مصر عند حلفا؛ ولعل هذا هو الذي أدى إلى استغلاله كطريق بين كزوسكو في مصر وأبو حمد بالسودان، وهي صحراء نادرة المياه لعدم وجود صخور بها نفاذية للماء، وإذا وجدت فيها المياه في بضع نقاط محدودة أو في مجاري الأودية مثل وادي قبقبة (محمد محمود الصياد: السودان دراسة في الوضع الطبيعي، ص٧٠، ١٨٩).

(٣) محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ص٤٣١.

(٤) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٨٩.

(٥) صلاح الدين الشامي: نهر النيل دراسة جغرافية تحليلية، ط٢، منشأة المعارف، الإسكندرية،١٩٩٥م، ص١٦٦.

هذا الطريق؛ لأنه يتجنب جميع بلاد إقليم النوبية الشمالية (مملكة المَقُرَّة)، التي تملي الشروط وتفرض الضرائب على من يمر بأرضها(١). ولربما قد كان هذا الطريق جزءًا من مسار الطريق الذي ربط بين وادي العلاقي ومملكة عُلوة الجنوبية كما أُشير إليه؛ خاصة وأن هذا الطريق بعدما يخترق صحراء العتمور ويصل إلى النيل عند أبي حمد ينفتح أمامه طريقان ممتدان على مجرى النيل، أحدهما إلى الجنوب الشرقي نحو مملكة عُلوة من جهة، والآخر إلى الجنوب الغربي نحو مملكة المَقُرَّة من جهة أخرى. وكلا الطريقين كان معروفًا ومسلوكًا منذ العصور القديمة، حيث كانت هاتان الجهتان مركزًا للحضارات القديمة في بلاد سودان وادي النيل(٢).

ورغم اتصاف هذا الطريق بالوعورة والجفاف، فهذا لا يعني خلوه من مصادر الحصول على الماء؛ حيث تتخلله بعض الأخوار والأودية التي ينالها شيء يسير من المطر وبها بعض العُشب، كما لا يخلو في بعض جوانبه من المناطق التي تتوفر فيها المياه الجوفية التي تساعد على حفر الآبار، وهذا يكفي لتزويد القوافل بحاجتها من الماء(٣).

ولعل أقدم إشارة قد وردت عن هذا الطريق في مصادر العصر الإسلامي، تلك التي ذكرت أحداث الحروب التي خاضها "ابن عبد الحميد العُمري" ضد البُجة والنوبة بعد العام٢٥٥هـ/٨٦٨م(٤). وربما تم اكتشاف مسلكه حينئذ، حيث واجهته مشكلة قلة المياه في بلاد البُجة، ولكنه نظر ذات يوم إلى طير فقال: "هذا من طيور الشطوط، فأحسب أن النيل قريب". فأرسل من رجاله للبحث عن الماء، وعادوا إليه في اليوم نفسه بقِرب الماء، وأخبروه بأن بلد المَقُرَّة النوبية في ظهره، فتوجه لوقته إلى النيل، ولكن النوبة رفضت ذلك، فحاربهم في موضع عُرف بشنقير، وهو الموضع الذي ينعطف فيه النيل من الشرق إلى الغرب، مما يؤدي إلى طول المسافة على سالك النيل، وقد تركت النوبة هذا الأنعطاف وجعلت طريقها الصحراء، فصارت تقطع مسيرة شهر في يومين(٥).

وموضع شنقير الذي خاض فيه العُمري حروبه ضد النوبة يقع في صحراء العتمور، وشنقير يضم المنطقة ما بين جنوب شرق مدينة أبي حمد إلى شمال وادي حلفا تقريبًا، ويرجح أن بلدة أبو حمد الواقعة على نهر النيل عند انحناءاته نحو الغرب، هى تقريبًا فى منتصف إقليم شنقير، ولفظ شنقير هذا يرجع إلى اللفظ النوبى الأصل (شُنقُر) ويعني النقود أو المعدن(٦).

(١) محمد عوض: السودان الشمالي سكانه وقبائله، ص١٦٠.

(٢) محمد عوض: المرجع السابق، ص١٦٢.

(٣) نفس المرجع، ص١٦٠.

(٤) للمزيد يُراجع، البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، المكتبة العربية، دمشق- سوريا، ١٩٣٩م، ص٦٤-٦٥.؛ المقريزي: المقفى الكبير، جـ٤، ص٢٢٦- ٢٣٢.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٠٥.

(٦) الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان، ص١٦١.

وقد ظلت مصر تستعمل هذا الطريق حتى العصر المملوكي، حيث أشارت المصادر إلى عبور أحد مبعوثي السلطة المملوكية خلال العودة مضطرًا في العام٦٨٥هـ/١٢٨٦م؛ بعدما اعترضه ملك النوبة الشمالية حين أرسلته السلطة للوقوف على حقيقة بعض الأمور في بلاد النوبة(١)، وكذلك ظلت القوافل التجارية تسلك هذا الطريق حتى العصر الحديث، فقد سلك عبره الرحالة الأوربيون الذين تركوا من أنباء رحلاتهم ما يدل على أن الرحلة خلال هذا الطريق لم تكن شاقة ومجهدة كما كان بالطريق القائم على ضفة النيل، وأن قوافل التجارة مازالت تمر منه بانتظام طوال العام، حيث تستغرق مسافة عبوره فيما يقرب من ستة أو سبعة عشر يومًا على ظهور الحمير، وثمانية أيام على ظهور الجمال(٢).

واستنادًا إلى ما سبق نؤكد أن الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد النوبة في العصر الإسلامي، كانت بمثابة جسور التواصل الحضاري بين البلدين، مما جعلها أداة اتصال لا انفصال بين مصر وبلاد سودان وادي النيل، فرغم العلاقات السياسية العدائية التي سادت بين البلدين، إلا أنه في النفس الوقت سادت علاقات اقتصادية كانت تضمن تحقيق الاتصال السلمي بين البلدين، مما كان له أكبر الأثر في تسهيل وصول الدعوة وانتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد النوبة وأقاليم سودان وادي النيل.

٣- الآثار الحضارية للطرق والمعابر في بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي:

حريّ بالذكر أن الدراسات الحضارية كشفت عن الدور المحوري للطرق والمعابر بين البلاد، وأكدت على أنها لم تكن مجرد وسيلة للنقل والانتقال فحسب، بل كانت عاملًا حيويًا في تشكيل الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ، حيث أسهمت في بناء الحضارات القديمة للإنسان ورسخت قوتها الاقتصادية والسياسية وشكلت حياتها الاجتماعية والثقافية(٣). والواقع أن الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل خلال العصر الإسلامي لعبت دورًا حيويًا في تعزيز التواصل الحضاري ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا بين شمال إفريقيا وشرقها ووسطها، حيث لم يقتصر دورها على مرور التجارة بين بلاد إفريقيا، بل كانت جسورًا لنقل المعرفة والديانات والثقافات والتأثيرات الاجتماعية بين الشعوب، مما أسهم في تطور حضارات المنطقة، ويمكن إبراز أهم الآثار الحضارية للطرق والمعابر في بلاد سودان وادي النيل خلال العصر الإسلامي في عدة نقاط:

(١) ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٤٣.

(٢) بوركهارت: المرجع السابق، ص١٣٨، وما بعدها.

(٣) وِل وَايزيل ديورَانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ط دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨م، مج١، جـ١، ص٢٧-٢٨.

أ- الانتقال الديني والثقافي (انتشار الإسلام واللغة العربية):

لقد كانت الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل وسيلة لنقل الثقافات والديانات والمعتقدات المصرية وانتشارها بين تلك البلاد منذ عصر الحضارات القديمة؛ خاصة أن الحضارة المصرية القديمة كانت المثل الذي احتذاه البُجة والنوبيون منذ فجر التاريخ، حتى باتوا يحاكون جوانبها المتنوعة بما فيها الأديان والمعتقدات، وقد يبدو هذا جليًا في آثار معابدهم ومقابرهم ومحتوياتها من نقوش وتماثيل وتوابيت وآوانٍ وتمائم الموجودة بهذه البلاد(١)، فقد انتشرت عبادة الآلهة المصرية القديمة بجانب آلهتهم(٢)، وكذلك اعتنقوا الديانة المسيحية على المذهب اليعقوبي(٣) وهو مذهب الكنسية المصرية منذ أوائل القرن الثامن الميلادى(٤)، وقد أورد ذلك بعض المؤرخين المسلمين عند حديثهم عن النوبة حيث ذكر "المسعودى"(٥): "لليعاقبة كرسيان لا ثالث لهما أحدهما بأنطاكية والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من أرض النوبة والأحابش رأى اليعقوبية". وأكد هذا أيضًا "ابن الفقية"(٦) إذ ذكر أن: "النوبة يعقوبية ... وكذلك أهل علوة "، وبعض العناصر التي أقامت في إقليم البُجة رغم أن الغالب على معتقداتهم الوثنية(٧)، فأشار "الإدريسى" إلى وجود جماعة في أرض البُجة يقال لهم (البلليين)(٨) بأنهم نصارى يعاقبة(٩)، كما أكد "ابن الوردى" أنهم نصارى على مذهب اليعقوبية(١٠).

وهكذا الحال بالنسبة للدين الإسلامي فمنذ بواكير عصره في مصر أصبحت الطرق والمعابر وسيلة لتسربه وانتقاله إلى بلاد سودان وادي النيل، مما أدى إلى اعتناق العديد من عناصر القبائل والممالك المحلية له، ومن أبرز الشواهد التاريخية على بداية دخول الإسلام إلى بلاد سودان وادي

(١) السيد حنفى عوض: النوبة ومجتمع التعاون، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٧.

(٢) سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ١٠، ص ٤٣٧.

(٣) اليعقوبية أو اليعاقبة: وهم أصحاب العقيدة التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح، والتي وضع طقوسها "يعقوب البرادعي" أسقف الرها في سوريا ٥٤٣م-٥٧٨م، ثم انتشرت شمالًا إلى أرمينيا، وجنوبًا إلى مصر حيث اعتنقتها الكنيسة القبطية المصرية (محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م، ص٢٦٦).

(٤) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٦٧.

(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٨٣م، ص١٣٠.

(٦) الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص١٣٠..

(٧) ذكر "اليعقوبى" ديانة البجُجةفقال عنهم:" ليس لهم شريعة إنما كانوا يعبدون صنماً يسمونه ححاخوا" (البلدان، ص١٧٥)، وقال أيضًا " ابو الفدا " عنهم: " إنهم يعبدون الأوثان"(المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص٩٦).

(٨) البلليين هم البليميين(Blemmyes) الذي تم ذكرهم فيما سبق.

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٠.

(١٠) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ١٤١.

النيل منذ بداية القرن الأول الهجري، ما ورد في معاهدة البقط التي عقدها المسلمون للنوبة في العام ٣١هـ/٦٥٢م، والتي نصت على إلزام النوبيين الحفاظ على المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلة، وضمان حرية العبادة فيه(١). وكذلك ما ورد في المعاهدة التي عقدها المسلمون لقبائل البُجة في العام ٢١٦هـ/٨٤١م، والتي ضمِنت إبقاء البُجة على المساجد التي بناها المسلمون في بلادهم طولاً وعرضًا(٢).

وما يُبرهِن على مدى الدور الحضاري الذي قامت به الطرق والمعابر التي ربطت بين بلادهم ومصر في نشر الإسلام، هو التفاعل السلمي الذي أسهم تدريجيًا في اعتناق العديد من أبناء سودان وادي النيل للإسلام، خاصة مع قدوم التجار والدعاة المسلمين إلى تلك البلاد عبر هذه الطرق، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن الإسلام انتشر بين قبائل البُجة التي كانت أكثر تفاعلاً مع التجار القادمين إليها عبر الطرق والمعابر منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فيذكر" اليعقوبى" عن قبائل البُجة الحدارية(٣) بأن المسلمين دائمًا ما يترددون إليهم للتجارة، وهو ما ترتب عليه اعتناق الحدارية للإسلام، وقد أشار إلي ذلك "المسعودى" أثناء حديثه عن الحدارية فقال: "وهم المسلمون من بين سائر البُجة وباقى البُجة كفار"(٤)، وأكد هذا "المقريزى" نقلا عن- ابن سليم الأسواني- الذي زار تلك البلاد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي- حيث ذكر عنهم: "وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب"(٥)، كما نص "ابن حوقل" أيضًا في كتاباته على ذلك في عصرة(٦)، وأرد أن بعض بلاد البُجة في ذلك العصر أصبح يحكمها مسلمون يتكلمون العربية(٧)، مما

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٤.

(٢) المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص٥٣٢.

(٣) الحدارية: ويقال لهم أيضًا (الحدارب) و(الحدربية) و(الحدرات)، وهم أهم قبائل البجُجةوأغناهم، واشتهروا بالشجاعة والبأس، وكانوا يُعتبرون وجهاء قومهم، حيث كان يرجع حكم وزعامة البجُجةإليهم، وكانوا يقيمون في أخر بلاد البجُجةفي شرق السودان وإريتريا، وقد لعبت هذه القبيلة دورًا بارزًا في التاريخ السياسي للمنطقة في العصر الإسلامي خاصة بعدما تصاهرت مع قبيلة ربيعة العربية (اليعقوبى: تاريخه، ص١٦٧، وكتابه أيضًا: البدان، ص ١٧٤.؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٥.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٦.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٠- ٥٣١.؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة، جـ٥، ص ٢٦٤)، وقد ذهب الباحثون إلى أن أصولهم تعود إلى العرب الذين هاجروا من حضرموت في اليمن إلى تلك المناطق في فترات مبكرة، ويقترحون أن اسم (الحدارية) مشتق من (الحضارمة) نسبةً إلى حضرموت(للمزيد يُراجع، عطيه القوصي: استقرار عرب حضرموت في صحراء مصر الشرقية منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مج٧، ع٢٥، الكويت، ١٩٨١، ص١٠١- ١١٣).

(٤) المسعودي: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٠.

(٦) ابن حوقل: المصدر السابق، ٥٦.

(٧) ابن حوقل: نفس المصدر، ص٥٧.

يعنى أن الإسلام ترسخ في هذه البلاد وبدأ يرافقه تزودهم بالثقافة العربية.

والواضح أن التفاعل السلمي الذي حدث عبر الطرق والمعابر بين المسلمين والبجة، ونتج عنه اعتناق البُجة للإسلام، جعل المسلمين المترددين على هذه البلاد يبثون فيها ثقافتهم ولغتهم العربية، وحققوا بذلك ما لم تحققه الحروب والغزوات، وقد يبرز مدى تفاعل البُجة بالثقافة واللغة العربية في تسمي رؤساؤهم بأسماء عربية، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري أن رئيس البُجة كان يحمل اسمًا عربيًا وهو" كنون بن عبد العزيز" الذي عَقدت له السلطة الإسلامية في مصر صلحًا عام ٢١٦هـ/٨٣١م[١]، وكذلك رئيسهم "علي بابا" الذي عقدت له أيضًا السلطة الإسلامية في مصر صلحًا عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م[٢]، والواضح أن البُجة تأثروا باللغة العربية حتى باتوا يخلطونها باللهجة المصرية[٣].

وهكذا أسهمت الطرق والمعابر في الانتقال الديني والثقافي بشكل سلمي من مصر إلى بلاد البجة، واليوم جميع البُجة في مواطنهم مسلمون يتحدثون اللغة العربية إلى جانب لغتهم المعروفة بـ(التبداوية)[٤]، وليس هذا فحسب، بل استعارت التبداوية كثيراً من الألفاظ والصيغ النحوية من اللغة العربية[٥]، ورغم أن العربية ليست لغتهم الأصلية إلا أن الغالب على قبائلهم الحالية احتفاظهم بشيء يسمونه (النسبة)، وهى ورقة مكتوبة أو حديث محفوظ يرجع بأسلافهم إلى قريش[٦]، وما هذا إلا أثر من آثار الاحتكاك الحضاري الذي حدث بينهم وبين مصر في العصر الإسلامي عبر الطرق والمعابر، وما نتج عنه من انتشار الدين الإسلامي والثقافة العربية بينهم.

---

(١) ابن حوقل: نفسه، ص٥٣.؛ المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص٥٣١- ٥٣٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٣٣- ٣٣٤.؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص ٢٠٣- ٢٠٦.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣.؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط٢، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠٠م- ٢٠٠٢م، جـ٤، ص٣٠١- ٣٠٤.؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٧م، جـ٦، ص١٥٢- ١٥٣.؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق فادي المغربي، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م، جـ١٥، ص ٨٩- ٩١.؛ ابن كثير: ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، جـ١٤، ص٣٧٧- ٣٧٩.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٣.؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٣٥٦.

(٣) الحسن الوزان: وصف إفريقي، جـ٢، ص٢٤١.

(٤) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث الين والاجتماع الأدب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٧.

(٥) محمد عوض: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص٢٦٠.

(٦) محمد عوض: المرجع السابق، ص٢٥٠.

أما الدور الحضاري الذي قامت به الطرق والمعابر في نشر الإسلام في بلاد النوبة، فقد تمثل في أن الطرق هيأت الأجواء لتغلغل التأثير الإسلامي في المجتمع النوبي، من خلال حرية التنقل والتجارة رغم العلاقات السياسية العدائية التي كانت بين مسلمي مصر والنوبيين، مما أدى إلى التواصل مستمر بينهم في فترات تسبق سقوط ممالك النوبة المسيحية في العصر المملوكي، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى هذا، حيث ذكر "اليعقوبي" أن التجار المسلمين كانوا يترددون باستمرار إلى أقصى بلاد النوبة عند سُوبا عاصمة النوبة الجنوبية(١)، ومن المؤكد أن تردد المسلمين إلى هذه البلاد عبر الطرق قد آتى ثماره بدليل ما أشار إليه "المقريزى" نقلا عن- ابن سليم الأسواني- الذي زار بلاد النوبة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي- في حديثه عن ممالك النوبة، والذي ذكر بأنه شاهد في أول مملكة المَقُرَّة من النوبة، أن كثيرًا منهم اعتنقوا الإسلام رغم جهلهم باللغة العربية، ووجد أيضًا رباطاً خاصًا في مملكة عُلوة(٢) به جماعة من المسلمين، إضافة إلى ذلك فقد شارك بنفسه في بلاد النوبة احتفال المسلمين بعيد الأضحى(٣).

وما يؤكد على دور الطرق والمعابر في تعزيز الوجود الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية بين النوبيين- وإن كانت الظروف السياسية غير مهيئة لذلك- هو ما تم اكتشافه من آثار تمثلت في شواهد القبور التي انتشرت في أماكن متعددة من بلاد النوبة، والتي منها ما عُثر عليه في تافة والمؤرخة بالعام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، وما عُثر عليه في كلابشة والمؤرخة بالعام٣١٧هـ/٩٢٩م، وكذلك قرطاس ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وأيضًا الدوسنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م(٤).

ورغم انتشار الإسلام في بعض جهات النوبة، إلا أن المسيحية ظلت الدين الرسمي لها رغم ضعفه في نفوس النوبيين حتى العصر المملوكي، ومع تبني المماليك سياسة القضاء عليها من خلال تعيين أميرًا نوبيًا مسلمًا حاكمًا على مملكة المَقُرَّة من بلاد النوبة في العام٧١٧هـ/١٣١٧م(٥)، الأمر الذي أبرز دور الطرق بشكل ملحوظ من خلال حرية تنقل الدعاة واندفاعهم إليها صوب الجنوب لنشر الدين الإسلامي بها(٦)، خاصة في الفترة التي اعتلي عرشها ملوك عرب مسلمون من بني الكنز منذ العام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م(٧).

(١) اليعقوبي: البلدان، ١٧٤.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥١٨، ٥٢٤.

(٣) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٤، ص٣١٨.

(4) William Y,Adams: Nubia Corridor TO Africa, N.J. PRESS, 1977, p.326.

(٥) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢، ص٢٣٧.؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٩١.؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٦٧.؛ المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٥١٥..

(٦) حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية ص١٤٩.

(٧) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٣، ص٦٦.؛ العمري: مسالك الأبصار، جـ٤، ص٤٨.؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ص٦٧.

والخلاصة أنه لم يكد القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ينتهي، حتى اعتنق النوبيون في المَقُرَّة الإسلام باستثناء أقلية ظلت على المسيحية تحج إلى بيت المقدس حتى أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي(١).

وما إن سقطت المسيحية في المَقُرَّة حتى فتحت الطرق والمعابر مساراتها جنوبًا تجاه مملكة عُلوة، حيث تقدم نحوها الدعاة والعلماء لنشر الدين الإسلامي في أرجائها(٢)، قبل ذلك الحين أمدت الطرق والمعابر علوة بكثير من الجماعات العربية التي استقرت فيها(٣)، الأمر الذي جعل ملك عُلوة تحت هذا الضغط العربي ينقل مقر مملكته من سُوبا إلى كوشة منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي(٤)، وما إن اجتمعت القبائل العربية مع الجماعات المحلية التي تسرب إليها الإسلام عبر الطرق، استطاعوا أن يكونوا حلفًا إسلاميًا عُرف باسم (الحلف السناري)(٥)، تمكن من إسقاط مملكة عُلوة المسيحية منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وإعلان بلاد النوبة دولة إسلامية عَرفت في تاريخ بلاد سودان وادي النيل باسم مملكة الفونج أو سلطنة سنار أو السلطنة الزرقاء(٦).

ومنذ ذلك الحين فتحت هذه السلطة الإسلامية في بلاد النوبة أبوابها للعلماء والفقهاء، فدعمت الطرق والمعابر البلاد بهم من مصر، ولا غرابة أن تكون مصر صاحبة السبق في غرس البذور الأولى للثقافة الإسلامية في تلك البلاد؛ لان مصر كانت قبلة العلماء والمتعلمين في العالم الإسلامي(٧). ويبرز الأثر المصري في ثقافة هذه البلاد من خلال أبنائها الذين أخذوا العلم والثقافة

(1) J. W. Crowfoot: Christian Nubia, The Journal of Egyptian Archaeology, Volume AXIII, April 1927, London. pp.144-145.

(٢) للمزيد عن العلماء والدعاة والفقهاء والأسر العلمية الذين أسهموا في نشر الإسلام في بلاد النوبة في العصر الإسلامي يُراجع: ود ضيف الله: الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، ط٣، دار جامعة الخرطوم لنشر، السودان، ١٩٨٥م.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٩١.

(٤) الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٦٨.؛ وكوسة ذكرها الإدريسي بكوشة وقال عنها:" مدينة كوشة الواغلة في النوبة، بينها وبين مدينة نوابة ستة أيام، وهي تبعد عن النيل يسيرا، وموضعها فوق خط الاستواء، وأهلها قليلون وتجاراتها قليلة وأرضها حارة جافة كثيرة الجفوف جدا، وشرب أهلها من عيون تمد النيل هناك، وهي في طاعة ملك النوبة"(نزهة المشتاق، جـ١، ص٣٧).

(٥) الحلف السناري: وهو حلف سياسي قام بين قوتين إسلاميتين كبيرتين في بلاد النوبة، كان طرفه الأول عرب القواسمة الذين ينتمون إلى قبيلة رفاعة، وهي فرع من قبيلة جهينة، وطرفه الثاني قبائل العنج أو الفونج؛
(Mac Michael: H.A:A History of the Arabs in the Sudan, 2.vol5, Cambridge. 1922.I, P.pp.40-51)

(٦) ود ضيف الله: كتاب الطبقات، ص٣٩- ٤٠.

(٧) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر والأسس النفسية

عن علماء الأزهر المصريين بالمباشرة أو بالواسطة، فكان منهم العلماء النوابغ والفقهاء[١]، الذين علموا الناس الفقه والتوحيد واللغة العربية وغيرها من العلوم التي غلب عليها الطابع الصوفي[٢]. وصار اليوم جميع النوبيين مسلمين يتحدثون اللغة العربية رغم احتفاظهم بثقافتهم ولغتهم الخاصة[٣]، ومع ذلك فإن اللغة النوبية في وقتنا الحالي، لا تزال تستعير وتستمد من اللغة العربية ألفاظًا وتراكيبًا تبلغ حوالي ثلاثين في المائة من مجموع ألفاظها[٤].

ومحصلة القول في ذلك أن الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل لعبت دورًا مهمًا في نشر الإسلام والثقافة العربية في جميع أرجاء تلك البلاد، وذلك من خلال انتقال العلماء والفقهاء عبر هذه الطرق والمعابر، مما أسهم في تعزيز الهوية الإسلامية وانتشار اللغة العربية وازدهار المراكز التعليمية والدينية وانتشار المساجد والكتاتيب فيها، وذلك بعملية تدريجية وسلمية في الغالب، وإن استمرت المعتقدات المسيحية والتقليدية لفترات طويلة، تعايشت فيها مع الإسلام قبل أن يصبح الأخير الدين السائد والثقافة المنتشرة في بلاد سودان وادي النيل.

ب- التداعيات والتحولات الاجتماعية:

من غير شك كانت الأحوال والظروف السياسية والاقتصادية في مصر خلال العصر الإسلامي، عاملاً مهمًا في ظهور دور الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل؛ وذلك بسبب اندفاع القبائل العربية عبرها جنوبًا صوب تلك بلاد، مما ترتب على ذلك تداعيات اجتماعية كانت كافية لحدوث تحول ديمغرافي وثقافي في تلك البلاد، فقد أسهمت الأحداث السياسية بين الدولة الإسلامية في مصر وقبائل البُجة إلى انتقال القبائل العربية إلى بلاد سودان وادي النيل في المرحلة الأولى عبر الطرق والمعابر الممتدة إليها، وذلك حين سمحت لهم المعاهدة التي عقدها ولاة مصر الأمويون بعد أول حروبهم معهم زمن خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م)[٥]، إلى العبور لتلك البلاد بأمان، وبدء نشاطهم التجاري بها والاستقرار فيها[٦].

والاجتماعية التي قامت عليها، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٩م، جـ ١، ص٧١.

(١) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص٢١٠.

(٢) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص٥٦، ٥٧.

(٣) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص١٥.

(٤) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٤٥.

(٥) عقدة هذه المعاهدة نتيجة لهجوم البجُةعلى الصعيد، هذا الأمر الذي جعل السلطة تجرد إليهم الحملات العسكرية لصد عدوانهم بقيادة عبيد الله بن الحبحاب السلولي، والتي أسفرت عن عقد أول معاهدة معهم ظلت قائمة زهاء قرن من الزمان (للمزيد عن بنود المعاهدة يُراجع، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب، جـ١، ص٢٥٥).

(٦) مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ص٢٦.

ونتيجة لذلك بدأت تنشط حركة الطرق والمعابر في تلك البلاد بالقبائل العربية، وتؤكد الأحداث السياسية التي وقعت للأمويين حين انهارت خلافتهم عام١٣٢هـ/٧٥٠م، وتعقبهم العباسيون بالقتل والنفي والتشريد، فهربت جماعة منهم من مصر إلى بلاد سودان وادي النيل عبر طرق أرض النوبة والبُجة فرارًا من المذابح(١). مما يُثبت أن مسارات طرق هذه البلاد أصبحت معروفة لدى العرب حينئذ، وتؤكد الأبحاث الأثرية هذه المسارات من خلال المقابر التي عُثر عليها بجانب الطرق، فضلًا عن هذا أن ثمة أبحاث تثبت وجود جاليات عربية في منطقة خور نبت – الواقعة على بعد ٧٠ ميلًا غربي سواكن– عُثر عليها في صور شواهد قبور يرجع تاريخها إلى العام ١٤٢هـ/٧٦٠م، وهو تاريخ يتفق مع انتقال الأمويين إلى هذه المناطق من تلك البلاد(٢).

وهكذا ظلت الأحوال السياسية تدفع بالقبائل العربية إلى تلك البلاد عبر الطرق والمعابر، التي من الواضح أنها في حد ذاتها كانت سببًا للصراع العسكري الذي وقع بين البُجة والقبائل العربية في العام ٢٠٤هـ/٨١٩م(٣)، مما جعل القبائل العربية بقيادة قبيلة "قيس عيلان" تقاتلهم وتصر على الإقامة في تلك البلاد منذ العام ٢١٢هـ/٨٢٧م(٤). غير أن البُجة أصرت على طرد العرب من بلادهم، فآذتهم وهجمت على بلاد الصعيد في العام٢١٦هـ/٨٣١م، وهو الأمر الذي دفع السلطة في مصر إلى تجرد حملة عسكرية كبيرة إليهم، أسفرت عن هزيمة البُجة وعقد صلح جديد لهم، يقضي بأن أرض البُجة صارت لأول مرة أرضًا إسلامية(٥)، فقد أصبحت هذه المعاهدة رأس حربة لفتح بلاد البُجة لنفوذ القبائل العربية، بعدما ضمنت لهم حرية التنقل والاستقرار فيها، كما أمنت مصالحهم التجارية وحريتهم الدينية وسلامتهم الشخصية(٦).

ومنذ ذلك الحين توافدت القبائل العربية إلى بلاد البُجة وأسوان للتجارة من قبائل قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش، وباتوا من الكثرة حتى تسربوا جنوبًا إلى أرض النوبة، وقد اشتروا لهم ضياعًا، وبذلك أصبح لهم حق الإقامة الدائمة في أرضها(٧)، هذا الأمر عارضه ملك

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٨٥.

(2) Bloss, J.F.E, the story of suakin" S. N. XX, part II, 1936, p.279.

(٣) ذكر ابن حوقل سبب الحرب التي قامت بين البجُجةوالمسلمين في العام ٢٠٤هـ/٨١٩م، أنه في هذا العام عزم جماعة من أهل قفط على الذهاب للحج عن طريق وادي العلاقى وعيذاب، وكانوا في صحبة رئيس البجُة ليدلهم على الطريق إلى عيذاب، غير أن البجُة اجتمعوا إلى رئيسهم وأشاروا إليه بقتل المسلمين لمعرفتهم طرق ومسالك بلاد البجة، ورغم عدم قبول رئيسهم بقتلهم إلا أنهم اتفقوا في النهاية على إتاهتهم في الصحراء حتى يموتوا (صورة الأرض، ص٥١).

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٥١– ٥٢.

(٥) ابن حوقل: نفس المصدر، ص٥٣.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣١– ٥٣٣.

(٦) ويليام ي. آدمز: النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط٢، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، السودان، ١٩٨٤م، ص٤٨٦.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٧– ١٨.

النوبة ودفعه لإرسال وفداً إلى الفسطاط في العام٢١٦هـ/٨٣١م للشكوى إلى الخليفة المأمون عند دخوله مصر، غير أن نتائج الشكوى لم تسفر عن شيء؛ لإقرار النوبيين الذين ابتاعوا الأرض بعدم تبعيتهم لملك النوبة(١)، وانحيازهم للعرب الذين اختلطوا بهم مما يعنى تأثرهم بهم(٢).

كما أسهمت السياسات الاقتصادية التي انتهجتها الدولة العباسية تجاه القبائل العربية في مصر إلى زيادة توجه القبائل العربية عبر الطرق إلى بلاد سودان وادي النيل؛ بغية تحقيق مطامع اقتصادية وأخرى سياسية(٣). فازداد توافد القبائل العربية إلى بلاد النوبة، فترتب عليه معارضة ملك النوبة أيضًا، فأرسل وفداً أخر إلى بغداد في العام ٢١٨هـ/٨٣٣م للشكوى إلى الخليفة المعتصم لكن دون جدوى(٤)، ومن ذلك شعرت القبائل العربية بأن الدولة الإسلامية تشجعهم على التوجه نحو بلاد سودان وادي النيل والاستقرار فيه، فانتشروا في بلاد البُجة والنوبة.

ويبدو أن قبائل البُجة لم تقبل بذلك فقاموا بطرد القبائل العربية من بلادهم وهاجموا بلاد الصعيد في العام ٢٣٢هـ/٨٤٧م، ورغم ردعهم بالقوة من قِبل الدولة الإسلامية في مصر، إلا أنهم أعادوا الكرة في العام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، مما استوجب على الدولة الإسلامية توجيه قوة عسكرية إليهم مصحوبة بعدد كبير من القبائل العربية من ربيعة ومضر واليمن في العام٢٤١هـ/ ٨٥٥م، والتي أسفرت عن القضاء على خطرهم وكف شرهم حتى نهاية العصر الإسلامي(٥).

وبذلك ضمنت القبائل العربية موطئ قدم للاستقرار في بلاد البجة، خاصة بعدما عاينوا مناجم استخراج المعادن النفيسة في تلك البلاد خلال مشاركتهم الحملات العسكرية(٦)، فما إن تسامعت باقي

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٧.

(٢) نعمة علي مرسي: وفد ملك النوبة إلي الخليفة المعتصم العباسي سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م وآثاره، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ع١، يناير ٢٠١٦م، ص٣-٤.

(٣) انتهجت الدولة العباسية سياسة إدراج العناصر الفارسية بديوان العطاء مع العرب، ثم ما لبث أن ظهر العنصر التركي الذي طغى على العنصر العربي والفارسي، وخاصة في عهد الخليفة المعتصم الذي استكثر منهم، بل وأمر واليه على مصر (كيدر نصر بن عبد الله) في عام ٢١٨هـ/٨٣٣م بإسقاط العرب من الديوان وحرمانهم من العطاء المقرر لهم ، وكان من أثر ذلك أن انتشر العرب في أنحاء مصر يسعون وراء الرزق عن طريق آخر غير طريق الجهاد والحرب، فاحترفوا الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن والحرف التي كانت إلى ذلك الوقت وقفا على أهل البلاد(سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٥٠).

(٤) المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص ٥٤٧.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٣٣- ٣٣٤.؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص ٢٠٣- ٢٠٦.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣.؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ٤، ص٣٠١- ٣٠٤.؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٦، ص١٥٢- ١٥٣.؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٥، ص ٨٩- ٩١.؛ ابن كثير: ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٣٧٧- ٣٧٩.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٣.؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ٣٥٦.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣.

القبائل بذلك حتى بدأوا التوجه إلى تلك البلاد، وهكذا ظلت الطرق تمد تلك البلاد بالقبائل العربية حتى أصبحوا من الكثرة مع بداية العصر الطولوني أحلافًا قائمة على العصبية القبلية، ومن ثم دأب أحد الطامحين والذي عُرف بـ (العُمري)[١] إلى توحيد تلك الأحلاف ليكوِّن تحت زعامته إمارة عربية إسلامية خلال منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في تلك البلاد، امتدت في جنوب مصر وبلاد البُجة وشمال النوبة[٢].

ومنذ ذلك الحين استطاعت القبائل العربية أن تصبح جزءًا من النسيج الاجتماعي للبجة، خاصة قبائل ربيعة وأحلافها التي صاهرت قبائل الحدارية وهي الطبقة الحاكمة من البُجة بعدما أسلمت، مما نتج عنه أن ربيعة أصبح لها السيادة على تلك البلاد منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣]، فكثرت أموالهم واتسعوا في أحوالهم وصارت لهم مرافق في بلاد البجة، واختطوا قرية عرفت بالنماس[٤]، وقد ترتب على هذا الاستقرار أن توثقت صلاتهم الاجتماعية بالبُجة إلى حد كبير، فنتج عنه إضفاء الطابع العربي على قبائل البجة، حتى بات قبائل الحدارية منهم تُعد من القبائل العربية خلال المكاتبات الصادرة للقبائل والأمراء من الأبواب السلطانية بالديار المصرية في العصر المملوكي[٥]، ومن ثم صار جميع البُجة يعيشون بالطابع العربي[٦].

وهكذا رسخت الطرق الوجود العربي وطابعه في مجتمع بلاد البجة، لتنفذ بعد ذلك إلى بلاد النوبة لكي ترسخه في مجتمعهم، وقد أسهمت الأحداث السياسية التي وقعت في العصر الأيوبي في العام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بين السلطة الحاكمة والقبائل العربية الموجودة في أسوان وجنوب الصعيد وعلى رأسها قبيلة ربيعة التي عُرفت حينها ببني الكنز[٧]، علاوة على بداية نضوب مناجم الذهب

(١) هو أبو عبد الله العُمري عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٣.؛ ص٢٣٦، الكندي: الولاة والقضاة، ص٢١٤)؛ ولد بالمدينة، ونشأ بها ثم قدم إلى مصر، وسمع منه الناس الحديث، ثم غادرها إلى القيروان ومضى بها وقتاً من حياته، ثم عاد إلى مصر عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م، وكانت فيه أدوات من فقة وأدب وشعر ومعرفة بالنجوم والفلسفة، فقد إلى أسوان في اول امره على سبيل التجارة (المقريزي: المقفى الكبير، جـ٤، ص٢٢٦)

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٦، ص٣١١.؛ ابن خلدون: العبر، جـ٣، ص٣٨١.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٥.؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ١٣٢.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٣٤.

(٤) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق فردناد واسطون فيلد، ط جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٧م، ص٢٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٦٤.

(٦) الحسن الوزان: وصف إفريقي، جـ٢، ص٢٤١.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٠٤.؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، جـ٢، ص٣٣٧- ٣٣٩.؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء

بالعلاقي منذ أواخر الدولة الفاطمية[١]، لتنتقل من جنوب مصر وأرض البُجة وتستقر عبر الطرق في بلاد النوبة بمنطقة المريس[٢]، وقد استطاعت تأسيس أول إمارة عربية إسلامية في بلاد النوبة، بعدما اندمجوا في أهلها عن طريق المصاهرة وتقوية الأواصر الاجتماعية بينهم، حتى تمكنوا من الوصول إلى مراكز السلطة، والاستيلاء على قلعة الجبل أهم قلاع تلك المنطقة، بعدما اعترف لهم ملك النوبة بنفوذهم عليها وجعل رئيسهم نائبًا عنه في حكمها[٣].

غير أن دور الطرق برز بشكل واضح في تعريب مجتمع النوبة وصبغته بالطابع العربي مع بداية العصر المملوكي، حيث تسبب الخلاف الذي وقع بين المماليك والقبائل العربية في بداية سلطتهم إلى انتقال كثير منها إلى بلاد النوبة[٤]، كما أسهمت السياسات العسكرية التي انتهجتها السلطة المملوكية ضد مملكة النوبة الشمالية منذ العام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، في إخضاع النوبيين، وصارت بلادهم جزءًا من البلاد الإسلامية[٥]، علاوة على مشاركة تلك القبائل الحملات العسكرية التي كانت توجهها السلطة إلى تلك البلاد وأصرت على البقاء وعدم العودة. وترتب على ما سبق اتخاذ تلك القبائل العربية من بلاد النوبة الشمالية موطنًا جديدًا لها، وأصبح لبعضها الغلبة كقبائل ربيعة وبنو عكرمة وبنو جعد وغيرهم، وسيطروا على مقاليد الحكم بها منذ منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع

الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، جـ٧، ص١٦٥.؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، جـ٣، ص٥٤.؛ العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٧، ص٥٧.؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٦، ص ٤٩٩- ٥٠٠.؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ص١٦٧.؛ المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٥٣٩.

(١) ابن بعرة: كشف الأسرار العملية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبد الرحمن فهمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦م، ص٣٩.

(٢) المريس: هو أرض النوبة المجاورة لمصر جنوبًا، وهي عبارة عن إقليم يمتد شمالاً من الشلال الأول على بعد خمسة أميال جنوب أسوان، وينتهي جنوبًا عند الشلال الثاني من جهة النوبة عند منطقة المقس الأعلى، وأخر قراه تعرف بساي، وعاصمته مدينة نجراش (فرس الحالية)، وقلعته في أبريم، وحاكمه المعروف بصاحب الجبل (المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥١٨، ٥١٩).

(٣) المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص ٥٤٨.

(٤) بدأ المماليك حكمهم في مصر منذ ٦٤٨هـ/ ١٢٥م بصراع قوى مع القوى المحلية من القبائل العربية، حيث رفضت تلك القبائل الخضوع للمماليك باعتبارهم رقيق، وإنهم أولى بحكم مصر منهم، فنادى زعمائهم بالوقوف ضد الحكم المملوكي الجديد، وأمروا اتباعهم بعدم الخضوع لهم واحتدم الصراع بينهم إلى أن انتهى بهزيمة تلك القبائل (للمزيد يُراجع، المقريزي: البيان والإعراب، ص ٩، ١٠).

(٥) ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٤٦.؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٣٤٤- ٣٤٨.؛ العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٧، ص٢٨١.؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد والدرر الفريد، ص٢٠٦- ٢٠٩.؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، جـ٧، ص٥١.؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٥٩-٤٦٠.؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٦٦.؛ المقريزي: السلوك، جـ٢، ص٩٤- ٩٥.

عشر الميلادي[١]، حتى صار لبعض زعمائها مكاتبات ومراسلات رسمية مع السلطة في مصر[٢]، ومن حينها توطد التواجد العربي بتلك البلاد حتى صاروا جزءًا من نسيجها المجتمعي.

وقد أمدت الطرق والمعابر النوبتين الشمالية والجنوبية بالقبائل العربية خلال هذا العصر، حتى صاروا من الكثرة والغلبة ينتشرون في البلاد المجاورة لبلاد سودان وادي النيل[٣]، وعندما ضعفت سلطة المماليك في بلاد النوبة الشمالية، وعُمرت البلاد بالقبائل العربية المختلفة[٤]، توالت عبر الطرق وصول قبائل جديدة إلى النوبة الجنوبية، خاصة فروع قبائل جهينة حتى كثُرت أعدادهم كثرة واضحة، حيث أشارت المصادر: "أن قبائل جهينة وحدها حول سُوبا عاصمة مملكة عُلوة بلغت اثنين وخمسين قبيلة"[٥]، ويؤكد "ابن خلدون" أن مجتمع النوبة الجنوبية منذ نهايات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بفضل هذه القبائل أصبح مجتمعًا ذا طابع عربي، حيث أورد:" ولم يبق لبلادهم- النوبة- رسم للمُلك، وإنما هم الآن رجالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادي الأعراب، ولم يبق في بلادهم رسم للمُلك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام"[٦]. وقبل نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أصبحت جميع بلاد النوبة بفضل الطرق بلادًا عربية مجتمعًا وثقافة، بعدما كُثرت بها البلدات العربية التي أنشأها العرب على ملتقى الطرق مثل (أربجي)[٧].

والواضح مما سبق أن موجات الهجرات العربية التي وفدت إلى بلاد سودان وادي النيل عبر الطرق والمعابر التي ربطتها بمصر في العصر الإسلامي ذات أثر بالغ وفريد من نوعه في تغيير

(١) المقريزي: السلوك، جـ٤، ص٢٨٥.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٢٩.

(٢) أورد القلقشندي أسماء بعض أمراء العرب الذي كان بينهم وبين السلطة المملوكية مكاتبات رسمية في العام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م وهم: وجنيد شيخ الجوابرة من الكهاربة بأبواب النوبة، وشريف شيخ النمانمة بأبواب النوبة أيضا، وعلي شيخ دغيم، وزامل الثاني، وأبو مهنا العمراني (صبح الأعشى، جـ٨، ص٣- ٤).

(٣) ذكر القلقشندي في المكاتبات الصادرة عن صاحب مملكة البرنو الواقعة غرب بلاد النوبة، شكوى سلطانها إلى السلطان برقوق عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م ضد أولئك الأعراب، والتي جاء فيها: ".... فإن الأعراب الذين يسمون جذامًا وغيرهم قد سبوا أحررانا من النساء والصبيان وضعفاء الرجال وقرابتنا وغيرهم من المسلمين... وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها في بلد برنو كافة حتى الآن وغيرهم ويختدمون بعضهم" (صبح الأعشى، جـ٨، ص١٢١).

(٤) مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ص٤٠.

(٥) أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله، نسخة إبراهيم حاج محمد عن: انساب عرب السودان ورقة ١٩، مخطوط بدار الوثائق القومية بالخرطوط رقم Misc1/27/128؛ ونسخة جعفر حسان في الأنساب، ص١٨، دار الوثائق القومية بالخرطوم متنوعات رقم Misc1/16/184.؛ كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص١٥٨.

(٦) ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٩١.

(٧) أربجي: تعني في اللغة النوبية (بلد العرب)، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام٨٨٠هـ/١٤٧١م، وهي تقع على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق، أو الضفة اليسرى منه، ويحيط بها النيل من جانبين على شكل قوس، وهي جنوب شرقي الحصاحيصا الواقعة جنوب خط العرض١٥ درجة، وعلى بعد حوالي ميلين منها ولاتزال تحتفظ أربجي بالاسم القديم (كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص١٥٦).

الخارطة الديموغرافية والثقافية لبلاد البُجة والنوبة، خاصة بعد معرفة العرب سر امتلاك زمام الأمور السياسية في تلك البلاد من أمرائها الأصليين، وهو التصاهر من بنات ملوكهم، فيكون المُلك المستقبلي من نصيب أبناء البنات أو أبناء الأخوات، وهي عادة توريث الإمارة في هذه البلاد، وبذلك انتقلت مقاليد الحكم إليهم، بعدما أصبحوا جزءًا من النسيج المجتمعي بها(١).

وهكذا أسهمت الطرق والمعابر بشكل كبير في تغيير التركيب الاجتماعي لبلاد سودان وادي النيل، وذلك بما أدخلته من عناصر عربية مختلفة حاملة في جعبتها العادات والتقاليد الخاصة بها، وكان لابد أن تترسب تلك الثقافات في ممارسات وسلوك شعوب تلك البلاد على مر الزمن، وتصبح سلوكًا أصيلًا بدلًا من كونها سلوكًا دخيلًا، يمارسه الجميع داخل المجتمع، بعد أن صُبغت بالطابع المحلي، لتظهر ثقافة وليدة مزجت بين التقاليد العربية والإفريقية. حيث كان من الطبيعي أن تفكر القبائل العربية في بناء مساكن لها حينما وصلت إلى بلاد سودان وادي النيل عبر الطرق والمعابر، فبنوا دورهم على الطراز العربي الإسلامي، لتتحول بعد ذلك إلى مدن إسلامية ذات صبغة عربية، فشيدوا المنازل الواسعة، والمساجد العامرة في أغلب البلدات، لاسيما الساحلية منها حتى صارت أحفل مراسي الدنيا(٢)، وقد كانت بلداتهم قبل ذلك صغيرة تتسم ببساطتها، حيث كانت تُقام من سيقان النباتات الجافة(٣)، فأصبحت بفضل المؤثرات العربية الإسلامية، تُبنى من الطوب اللبن والآجر والجص، خاصة في المناطق التي ينبسط فيها السهل، وكانت تتألف من مبنيين مستديرين منفصلين، أحدهما للرجال، والأخر للنساء(٤).

ولعل من أبرز آثار الإسلامية في مجتمعات بلاد سودان وادي النيل هو إلغاء نظام التوريث القائم على النسب ناحية الأم، واستبداله بالنظام القائم على النسب إلى الأب(٥)، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة في عصره(٦)، وكذلك برزت المظاهر الحضارية في مجتمع تلك البلاد من خلال الملابس والأزياء والزينة، فقد تطورت بعدما كان يغلب عليها البدائية والبساطة في جميع الأنحاء، فقد صارت أزياؤهم تحاكي الأزياء العربية، مثل ارتداء العمامة والجلباب للرجال، وثوب أبيض تلتف به النساء عُرف لديهم باسم (التوب)(٧)، كما عرفوا نوعًا أخر من الثياب كانت تفد إليهم من مصر عبر الطرق

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٧.؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٩١.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٧.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص٥٠.

(٣) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٥٧.؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٩.

(٤) بوركهارت: رحلاته، ص٩٩، ١٢٢.

(٥) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ٧٩- ٨٠.

(٦) ابن بطوطة: الرحلة، جـ١، ص٧١.

(٧) كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص٣١١.

عرفت باسم (الفرك المحلاوي) نسبة إلى مدينة المحلة بمصر، وهي من الحرير المخطط أُطلق عليها أيضًا اسم (المروط)[١]، إضافة إلى استعمالهم الزينة العربية كالأساور والحجول والخروص[٢].

وهكذا أسهمت الطرق والمعابر التي ربطت مصر ببلاد سودان وادي النيل، من خلال الأحوال السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها مصر في العصر الإسلامي، في التنقل المستمر الذي أدى إلى تداعيات اجتماعية انعكست على مجتمعات تلك البلاد، برزت آثارها في تغيير التركيب الاجتماعي لها، إلى جانب تغيير العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية.

جـ- التعزيز الاقتصادي والرواج التجاري:

لقد أدركت الدولة في مصر مدى القيمة الاقتصادية للطرق والمعابر التي ربطتها ببلاد سودان وادي النيل منذ العصور القديمة، وظلت تتمسك بتلك القيمة خلال العصور التي توالت عليها في زمن البطالمة والرومان، ومع بداية العصر الإسلامي في مصر أصر العرب المسلمون على الحفاظ عليها رغم العداء السياسي والاختلاف الإيديولوجي مع أقاليم البُجة والنوبة من تلك البلاد، خاصة بعدما تفرَّدت بربط تجارة الشرق والغرب، بسبب الظروف والأحوال التي ألمت بدول المشرق الإسلامي، مما أصبح لها شأن اقتصادي وتجاري عظيم انعكست آثاره على البلدين[٣].

والجدير بالذكر أن هناك عدة عوامل أسهمت في الآثار التي ترتبت على دور الطرق في تعزيز النشاط الاقتصادي والرواج التجاري بين البلدين، يأتي في مقدمتها العامل الجغرافي الذي جعلها تلعب دورًا حاسمًا في ربط عدة أقاليم جعلتها تحدد توجيه مسارها واتجاهاتها بغرض توفير الوقت والجهد، أما أهمها فكان عامل توفير الأمن الذي تجلى في ضمان سلامة الأفراد والبضائع[٤]، فحينما يطمئن التجار إلى سلامة مسارهم، وضمان وصول بضائعهم وسلعهم إلى وجهاتها بأمان من المخاطر المحتملة كالسرقات والاعتداءات، مما شجعهم ذلك على التنقل والتجارة وتعزيز الاستقرار الاقتصادي، وكثيرًا ما كانت تقوم السلطة الإسلامية في مصر باتخاذ الاجراءات وتوجيه الحملات العسكرية ضد العناصر الخارجة لإقرار الأمن في مسارات الطرق والمعابر[٥]، كما استطاعت بعض الجماعات السياسية ببلاد سودان وادي النيل أن تقر الأمن بالطرق العابرة في محيطها، مثل الجعليين[٦] الذين

(١) ود ضيف الله: الطبقات، ص٢٦٦.

(٢) كرم الصاوي: المرجع السابق، ص٣١٢.

(٣) يُراجع ما سبق.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن، ١٩٠٦م، ص٢١٥.؛ ابن جبير: الرحلة، ص٤٩.

(٥) يُراجع، المقريزي: السلوك، أحداث عام ٥٧٨هـ (جـ١، ص١٩٠)، وعام٦٦٢هـ (جـ٢، ص٤)، وعام ٦٧٤هـ (جـ٢، ص٩٥)، وعام ٦٨٠هـ (جـ٢، ص١٥٢)، وعام ٧١٦ (جـ٢، ص٥١٦)، وعام ٧١٩ (جـ٣، ص١٦)، وعام ٧٦٧هـ (جـ٤، ص٢٨٥).

(٦) الجعليون: مجموعة من القبائل العربية ذات النسب المتقارب واندمج معها بعض الجماعات من السكان المحلين بسطت

أمنوا الطرق ناحيتهم، ومارسوا التجارة على المستوي المحلي في بعض الجهات، وكذلك الرباطاب[١] بحكم موقعهم الممتد على الطريق النهري إلى غرب أبي حمد[٢]، والعبدلآب[٣] أيضًا بعدما تمكنوا من فرض سيطرتهم على طرق التجارة وتأمينها، وخاصة طريق درب الجمل الذي كان يسير محاذيًا لنهر النيل من الشمال إلى الجنوب، ويتفرع منه طريق سواكن شرقًا، وطريق أخر يسير عبر صحراء البيوضة إلى مصر[٤].

كما أسهم عامل توفير وسائل النقل عبر الطرق والمعابر في تسهيل حركة السفر ونقل البضائع، وتبادل السلع بين البلاد، وقد اشتهرت بعض القبائل العربية التي انتقلت إلى بلاد سودان وادي النيل بتوفير الإبل اللازمة للمسافرين والتجار[٥]. فكما توافرت وسائل النقل البرية، توافرت أيضًا وسائل النقل البحرية، وقد أشار "ابن جبير" إلى السفن التي كان يصنعها أهل عيذاب لنقل التجارة والحجاج عبر البحر الأحمر[٦]، وكذلك توفرت السفن النهرية التي كانت تنقل التجارة بين مصر والنوبة[٧].

وكذلك تزويد بالطرق الخدمات التجارية مثل أماكن الراحة وتقديم الطعام والتزود بالماء، وقد تشارك أبناء سودان وادي النيل مع القبائل العربية في تقديم تلك الخدمات للمسافرين والتجار[٨]، ونظرًا للرواج التجاري الذي عم البلاد توافرت المنشآت التجارية كالوكالات[٩] والفنادق والخانات؛

نفوذها على جهات متعددة من بلاد النوبة خلال العصر الإسلامي، وأمتد إقليمهم على النيل من جنوب الخرطوم حتى دنقلة، واتخذت (شندي) عاصمة لها، حيث كانت مركزًا تجاريًا مهمًا، وسوقًا عامرة تأتي إليها القبائل للتجارة، أو للوصول عن طريقها إلى مصر (مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص١٨٩).

(١) الربطاب: جماعة عربية ترجع بنسبها إلى العباسيين، امتد نفوذها على ضفتي النيل في السودان من شمال عبيدية، حيث يبدأ الشلال الخامس إلى أبي حمد، ثم غربًا مع اتجاه النيل بنحو خمسين كيلو مترًا إلى الشميخة، وعاصرت سلطنة سنار وخضعت لنفوذها (الشاطر بصيلي عبدالجليل: تاريخ وحضارات السودان، ص٣٧).

(٢) محمد عوض: السودان الشمالي، ص ١٧٥، ١٧٧.

(٣) العبدلآب أو مشيخة العبدلآب: وهم قبيلة من شعبة القواسمة من قبيلة رفاعة بالسودان، وتنسب إلى رجل يدعى (عبد الله جمَّاع) وهو الذي تحالف مع (عمارة دنقس) زعيم الفونج للقضاء على مملكة علوة النوبية، وتأسيس مملكة سنار، وكانت ذات نفوذ سياسي قوي وقد امتدت من الشلال الثالث شمالًا إلى مدينة أربجي جنوبًا، واتخذت من (قِرّى) شرق خانق سبلوقة شمال الجندل السادس عاصمة لها، ثم انتقلت عاصمتها إلى حلفاية الملوك بعد ذلك، وكانت تقاسم سلطنة سنار السلطة السياسية على الإقليم الشمالي (محمد عوض: المرجع السابق، ص٢١٨).

(٤) يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك، ص٤٠.

(٥) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١١٧.؛ ابن جبير: الرحلة، ص٤٨.؛ ابن بطوطة: الرحلة، جـ١، ص٧١.

(٦) ابن جبير: الرحلة، ص٥١- ٥٢.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٥٤٠.

(٨) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١١٧.؛ الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص١٣٥.؛ ابن جبير: الرحلة، ص٥٠.

(٩) أشار "ناصر خسرو" عندما اعتزم مغادرة أسوان إلى مكة عن طريق عيذاب، حصل على كتاب من تاجر بأسوان يوصي وكيله بعيذاب بإعطائه ما يريد (ناصر خسرو: المصدر السابق، ص١١٩)، كانت الوكالات في العصر الفاطمي مكان مخصص

لتسهيل عمليات التبادل التجاري، فضلاً عن تطور نظم الإدارة والمعاملات المالية على يد السلطة السياسية في مصر، بعدما كانت طريقة المقايضة أو المبادلة هي السائدة في بلاد سودان وادي النيل(١).

وقد تضافرت جميع هذه العوامل فيما بينها فعملت على نشاط حركة الطرق والمعابر بين البلدين في العصر الإسلامي، فنتج عنه تعزيز النشاط الاقتصادي والتجاري، حيث أسهم هذا النشاط في رواج حركة الأسواق وتبادل السلع بين مختلف البلاد، والتي تبرز مظاهره الحضارية في قيام ونشأة المدن التجارية، فمن خلال مسارات الطرق تشتهر ببعض المناطق بسلعة معينة أو تقديم خدمة خاصة، لتصبح عما قريب مركزًا تجاريًا مهمًا يفد إليه التجار، وتقصد إليه التجارة ويُقام به الأسواق، وقد كان من أهمها وادي العلاقي الذي مثل أهم مراكز استخراج وتجارة معدن الذهب في العصر الإسلامي، علاوة على توسطه المسافة بين الطرق التي ربطت النيل بالبحر الأحمر، فضلاً عن الطرق التي ربطته ببلاد النوبة جنوبًا، مما جعل منه مركزًا تجاريًا يزج بزخم التجار من مختلف البلاد(٢).

كما أسهمت الطروق والمعابر المتصلة بساحل البحر الأحمر في قيام الموانئ والمدن التجارية، والتي كان من أشهرها مدينة عيذاب، والتي حظيت بقيمة تجارية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، فرغم قيامها في أول الأمر لأغراض عسكرية(٣)، إلا أنها مع رواج سلعة الذهب في منطقة الظهير صارت تؤدي أغراضًا تجارية(٤)، ومع استمرارها في أعمال التجارة تحولت بفضل طريق الحج القادم إليها من قوص، إلى أهم البلاد على ساحل البحر الأحمر(٥)، وكذلك اشتهرت مدينة سواكن

للتجار، وتشبه في نظامها الفنادق، تخصص الطوابق الأرضية كمخازن لبضائعهم، والطوابق العلوية سكانًا لهم ومكانًا لحفظ أموالهم وودائعهم (جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٦٠).

(١) أبو صالح الأرمنى: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني، تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، تحرير بي. تي. إيه. إيفيتس، كلية ترينيتي، جامعة أكسفورد، أكسفورد، ١٨٩٣م، ص١٢٠.؛ المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص ٥١٩.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٢.؛ ابن رُسْتَه: الأعلاق النفيسة، ص٣٣٥.؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص٢٠.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٣.؛ الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص٤٧.، ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، ص٥١.؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ص١٢١.؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٨٩.؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٧٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٣٣.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٠.

(٥) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص ١١٨.؛ الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص١٣٤-١٣٥.؛ ابن جبير: رحلته، ص٥٠.؛ التّجيبي السّبتي: مُستفاد الرّحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط١، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥م، ص١٩٦- ٢٠٥.؛ ابن بطوطة: رحلته، ص ٧١- ٧٢.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٩- ٥٥٢.

وميناؤها بفضل تجارة القبائل العربية، وربما تأسست على أيديهم(١)، ومع أنها لم تحظ بقيمة تجارية لمصر إلا بعد انهيار عيذاب في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي(٢)، إلا أنها أصبحت منذ تأسيسها المدينة التجارية الرئيسة لبلاد سودان وادي النيل(٣)، وقد برزت بفضل الطرق مدن تجارية أخرى كثيرة تباينت أهميتها على قدر تجارتها، بعدما تشارك أبناء البلدين فيها من خلال أسواقهما، فضلاً عن أسواق مدينتي أسوان وبِلاق اللتين كانتا من أهم أسواق بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي(٤).

وكذلك لعبت الطرق دورًا محوريًا في تعزيز الرواج التجاري من خلال نقل السلع التي حظيت بأقبال كبير في البلدين، والتي تُعد المحرك الأساسي لحركة الأسواق ودعم التجارة الداخلية أو الخارجية وتحفيز النشاط الاقتصادي، ويعد معدن الذهب من أشهر هذه السلع التي نقلتها الطرق في العصر الإسلامي من بلاد سودان وادي النيل في إقليم البُجة إلى مصر، حيث جذب اهتمام تجار مصر من العرب والعجم لما كان له من مكاسب طائلة(٥)، كما اشتهرت تلك البلاد بتجارة معدن الزمرد أو الزبرجد(٦)، أثمن السلع التجارية الصادرة منها وأغلاها قيمة، وذلك لما كان يُعتقد فيه من فوائد علاجية والروحية(٧)، مما أدى إلى زيادة الطلب عليه ليس في الأسواق المحلية في مصر فحسب، بل في الأسواق الخارجية على المستوى العالمي، حيث كان يُستخرج من مناجمه ثم يُحمل إلى الفسطاط – القاهرة – ومن ثم إلى خارج مصر(٨). كما لم تقل الإبل البجاوية من حيث القيمة التجارية عن السلع

(١) صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية، ص١٠٤.

(٢) الحسن الوزان: وصف إفريقي، جـ١، ص١٨١.

(٣) يُراجع فيما سبق الطريق بين عيذاب المصرية وسواكن السودانية

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص١٧٢.؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٧.؛ الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص ٣٨.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٤٠.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ١٧٢.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٠.؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٤٦.؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٥٢٩.

(٦) أطلقت المصادر التاريخية اسم (الزبرجد) على معدن الزمرد (الإصطخرى: مسالك الممالك، ص٥١.؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٢.؛ الهمدانى: البلدان، ص٧٨) إلا أن بعضها الأخر فرق بينهما، فيذكر "التيفاشى" أن الزبرجد يتكون فى موضع الزمرد، ويوجد معه إلا أنه أقل وجودًا من الزمرد، ويذكر أن الزبرجد يتكون من مكونات الزمرد سواءً بسواء، وكأنه نوع منه ابتداء ليكون زمردًا، ثم قصر عنه فى كيانه بسبب الأعراض الداخلة عليه من قبل الطبخ ونقص الحرارة، فنقص لونه عنه (أزهار الأفكار فى جوهر الأحجار، نشر أنطونيور راينيرى، فرنسا، ١٨١٨م، ص١٧)، وكذلك "ابن الأكفاني" فرق بينهما فذكر أن الزبرجد صنف واحد، فستقى اللون، شفاف، لكنه سريع الإنطفاء لرخاوته، وهذا بخلاف الزمرد الأخضر اللون، وله أربعة أصناف هما الذبابي، والريحاني، والسلقي، والصابوني(نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، تحقيق أنستاس مارى الكرملى، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٥٣).

(٧) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص١٨- ١٩.

(٨) المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص٦٣٢.

الأخرى؛ لما لها من صفات امتازت بها، مما جعلها سلعة رائجة في خارج مصر(١).

أما السلع التي كانت تُنقل عبر الطرق إلى مصر من بلاد سودان وادي النيل في إقليم النوبة فكان أشهرها رواجًا الرقيق، حيث ظلت هذه سلعة أساس الحياة الاقتصادية في بلاد النوبة(٢)، وقد راجت تجارة تلك السلعة في العالم الإسلامي لما كان يتميز به رقيق سودان وادي النيل من خصال حسنة، حيث أشتهر الذكور بالأمانة والإخلاص في العمل وحسن النظام والطاعة وكمال الأجسام، أما الإناث فقد اشتهرن بحسن تدبير المنزل ورعاية وتربية الأطفال(٣)، ولرواج تجارة هذه السلعة اشتغل بها ملوك النوبة، وكثيرًا ما كان يتجه إليهم تجار مصر عبر الطرق من أسوان؛ للحصول عليها من خلال مقايضتها بالمنتجات المصرية(٤). كما اشتهرت تلك البلاد بمعدن السنباذج الذي كان يستعمل في خرط الجواهر(٥)، وكذلك معدن الشب الذي أُستخدم في تثبيت ألوان وصبغات الثياب(٦)، وقد كثر الطلب عليه خارج مصر، فكانت تصدره من ميناء الإسكندرية بعدما يأتي به التجار إليها عبر طرق النوبة(٧)، كما نقلت هذه الطرق من النوبة سلعًا أخرى لاقت رواجًا في مصر مثل خشب الأبنوس الذي كان يكثُر في بلادها(٨)، وكذلك الصمغ العربي المعروف بجودته(٩)، وغيرها كثير من السلع التي اشتهرت بها تجارة النوبة كالعاج وقرن الخرتيت وريش النعام.

وأما أشهر السلع التي نقلتها الطرق من مصر إلى بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي، فقد تمثلت في السلع الأساسية لمتطلبات الحياة اليومية التي كانت تفتقر إليها نتيجة لبيئة تلك الأقاليم الوعرة والجافة، والتي كان في مقدمتها الحبوب الغذائية والتمور والمنسوجات والملابس(١٠).

وهكذا لعبت الطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل خلال العصر الإسلامي دورًا محوريًا في بناء اقتصاد مزدهر ومتنوع في كلا البلدين، فقد أسهمت هذه الشبكات في نشأة المدن

(١) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص١١٩.؛ الإدريسي: المصدر السابق، جـ١، ص٤٦.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، ص٣٣٩.

(٣) ابن بطلان: رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٥٢، ٣٨٧.

(٤) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص٨١.

(٥) أبو صالح الارمني: تاريخه، ص ١٢٠.

(٦) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطي، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٧) المقزيزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٢٩٤- ٢٩٥.

(٨) الهمداني: البلدان، ص١٢٩.

(٩) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ص٢٣٤.

(١٠) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص٨١.؛ ابن بطوطة: رحلته، جـ١، ص٧١.؛ الوزان: وصف أفريقا، جـ٢، ص١٨١.؛ المقريزي: المصدر السابق، جـ١، ص٥١٨.

والمراكز التجارية، وربط الحواضر الإسلامية ببعضها البعض، مما أدى إلى تفاعل الأسواق المحلية وتبادل المنتجات والسلع، وبالتالي تعزيز الاقتصاد ورواج التجارة الخارجية.

وفي النهاية نؤكد على مدى الأثر الحيوي للطرق والمعابر التي ربطت مصر عبر أقاليم بلاد سودان وادي النيل، حيث كانت مصر بفضل تلك الطرق مركزًا رئيسًا للتجارة العالمية بين الشرق والغرب، مما أسهمت في تشكيل قوتها الاقتصادية والتجارية في العصر الإسلامي، خاصة خلال فترة الدولة المملوكية، الأمر الذي آثار حفيظة الدول الأوروبية آنذاك، مما جعلها تحاول حرمان مصر من مكتسباتها الاقتصادية والسياسية بتحويل طرق التجارة التي كانت تمر عبرها إلى طريق جديد، ومع اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح في عام٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م، وتحول مسارات التجارة العالمية(١)، مما أثر سلبًا على أهمية الطرق في مصر، حيث أدى إلى تقليل حركة التجارة عبر أراضيها، فاختل الاقتصاد المصري، وبذلك ضعفت دولة المماليك وانهارت، مما يُظهر أهمية الطرق للدول، وأن التغيرات التي تحدث في مساراتها تؤثر بشكل عميق على مصيرها.

* * * * *

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٣٠٨.

الخاتمة والنتائج:

وفي النهاية نؤكد أن الطرق والمعابر التي ربطت مصر ببلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي، كانت بمثابة جسور للتواصل الحضاري بين البلدين، مما جعلها آداه اتصال بينهما لا انفصال عبر تلاحم وتعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بين شعبي وادي النيل، مما يجعل الادِّعاء بأن الحدود السياسية كانت تشكل عائقًا حقيقيًا بينهما.. محل تساؤل؟. لذلك نؤكد أنه لا صحة لما يدعيه البعض بهدف تقطيع أواصر الصلة بين أبناء حضارة حوض النيل العربية الإسلامية، وتؤكد الشواهد التاريخية في العصر الإسلامي أن الطرق والمعابر ظلت رمزًا للتواصل المستمر والتلاحم الحضاري فيما بينهما، لأنها تكن مجرد وسيلة للانتقال فحسب، بل كانت شرايين نقلت الحضارة الإسلامية إليهم، والتي لاتزال مظاهرها تتجلى في شتى مجالات الحياة في أقاليم حوض سودان وادي النيل. وسوف نستعرض أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فيما يلي:

– حرصت الدولة الإسلامية في مصر، منذ بدايات تواصلها مع بلاد سودان وادي النيل في أقاليم البجُة والنوبة، على توطيد علاقاتها بهدف تعزيز التواصل الحضاري، ولا سيما في المجال الاقتصادي. وقد تزايدت أهمية هذه العلاقات خلال العصر الإسلامي، خاصةً في ظل تعرض بعض طرق التجارة الأخرى للركود والانهيار، مما جعل من هذه المسارات شريانًا حيويًا للتبادل التجاري والثقافي بين البلدين.

– تُشير المصادر التاريخية والجغرافية في العصر الإسلامي إلى أن مصطلح (بلاد سودان وادي النيل) كان يُستخدم لوصف المنطقة الجغرافية التي تمتد عبر الأقاليم السياسية الواقعة على حوض النيل وروافده. يشمل هذا الامتداد مناطق تبدأ من بلاد الحبشة في الجنوب، مرورًا ببلاد النوبة والبُجة شمالاً حتى جنوب مصر، ومن الضفة الغربية للنيل في مصر وروافده في السودان غربًا، وصولاً إلى البحر الأحمر شرقًا.

– مثَّلت بلاد سودان وادي النيل الأوسط، خاصةً في إقليمي البُجة والنوبة، محورًا حيويًا لحركة الطرق والمعابر التي ربطت مصر بعمق القارة الإفريقية خلال العصر الإسلامي، مستفيدةً من الامتداد الطبيعي لحوض نهر النيل.

– إن مصطلح (السودان) مرَّ بعدة مراحل وتطورات دلالية شهدت على تحولات في معانيه واستخداماته في العصر الإسلامي، بدءًا من الدلالة الإثنية، ثم الجغرافية والثقافية، لينتهي قصرًا على بلاد حوض النيل جنوب مصر، لينحصر في النهاية للإشارة إلى الحدود السياسية للدولة الحديثة المعروفة اليوم باسم جمهورية السودان في العصر الحديث، مما جعل هذه المراحل تعكس التغيرات الجغرافية والسياسية والثقافية التي شهدتها بلاد سودان وادي النيل.

– يؤكد التراث العربي الإسلامي أن الاكتشافات الأوروبية لمنابع الأنهار الإفريقية في القرن التاسع عشر، كانت تتويجًا للمعرفة الجغرافية التي أسهم فيها الجغرافيون والرحالة المسلمون في العصر الإسلامي.

– مثلت الطرق والمعابر بين مصر وسودان وادي النيل، خاصة في إقليم البُجة، ركيزة أساسية للقوة الاقتصادية للدولة الإسلامية في مصر خلال العصر الإسلامي. فقد أسهمت هذه الطرق في تعزيز التجارة وتسهيل أداء فريضة الحج، مما جعلها من أبرز المسارات الحيوية في إفريقيا.

– تُعَدُّ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد سودان وادي النيل، خاصةً في إقليم النوبة خلال العصر الإسلامي، مثالًا حيًّا على استمرار التبادل الحضاري والتجاري رغم التوترات السياسية التي شهدتها المنطقة، فقد أسهمت الطرق والمعابر التي ربطت بين البلدين في تعزيز هذا التواصل، مما أدى إلى ترسيخ الروابط الثقافية والدينية والاقتصادية بين الشعبين.

– إن انتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد سودان وادي النيل يُعَدُّ من أبرز الآثار الحضارية التي نتجت عن الطرق والمعابر التي ربطت هذه المنطقة بمصر خلال العصر الإسلامي. فقد أسهمت هذه الطرق في تعزيز التواصل الثقافي والديني بين الشعوب، مما أدى إلى ترسيخ الهوية الإسلامية والعربية في المنطقة.

– لعبت الطرق والمعابر دورًا محوريًا في تعزيز التنقل المستمر للقبائل العربية من مصر إلى بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي، حيث أدى إلى تشكيل النسيج الاجتماعي والثقافي لتلك البلاد، مما جعلها نموذجًا للتنوع والتعايش الاجتماعي بين مختلف الثقافات والأعراق.

– أسهمت الطرق والمعابر في بلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي من خلال التداعيات الاجتماعية إلى إضفاء الطابع العربي على تلك البلاد بعد أن صُبغت بالطابع المحلي، لتظهر ثقافة وليدة مزجت بين التقاليد العربية والإفريقية، نتج عنه تبديل الأفكار والعادات والتقاليد السائدة.

– برز الدور الحيوي للطرق والمعابر بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي في تعزيز النشاط الاقتصادي والرواج التجاري بين البلدين، من خلال حركة نقل السلع والبضائع، مما أدى إلى ازدهار الأسواق، التي دفعت إلى قيام المراكز التجارية وتطورها على طول مسارها.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥م

ملحق رقم (١)

مسارات الطرق والمعابر التي ربطت بين مصر وبلاد سودان وادي النيل في العصر الإسلامي

(إعداد الباحث)

ملحق رقم (٢)

التصور الجغرافي لبلاد السودان في المصادر الإسلامية
خلال الفترة من القرن (٤-٨هـ/ ١٠-١٤م)

(إعداد الباحث)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥م

ملحق رقم (٣)

النطاق الجغرافي والسياسي لبلاد السودان والتكرور
خلال الفترة من القرن (٩-١٣هـ/ ١٥-١٩م)

(إعداد الباحث)

ملحق رقم (٤)

مصطلحات الأوروبيين الجغرافية لبلاد السودان
بعد اكتشاف منابع الأنهار الإفريقية خلال القرن التاسع عشر

(إعداد الباحث)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥م

ملحق رقم (٥)

أقسام بلاد السودان وفقاً للدراسات التاريخية

(إعداد الباحث)

ملحق رقم (٦)

الحيز الجغرافي لحوضي نهر النيل ونهر النيجر في القارة الإفريقية

(إعداد الباحث)

مصادر ومراجع الدراسة:

أولا- المصادر العربية:

(١) **الإدريسي**، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الهاشمي القرشي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٦م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٢) **الإصطخري**، أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م.

(٣) **ابن إياس**، أبو البركات زين العابدين محمد بن أحمد(ت: ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٤) **ابن الأثير**، أبو الحسن عز الدين علي بن الجَزَري الموصلِّي الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٧م.

(٥) **الأقفهسي**، شهاب الدين أحمد بن عماد الأَقْفَهسي(٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م): أخبار نيل مصر، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى ونعمات عباس محمد، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٦) **ابن الأكفاني**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، تحقيق أنستاس مارى الكرملى، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.

(٧) **البرتلي الولاتي**، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق (ت: ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨١م.

(٨) **ابن بطلان**، أبو أنيس المختار بن الحسن بن بطلان البغدادي (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): رسالة في شري الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٧٢م.

(٩) **ابن بطوطة**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله محمد اللواتي الطنجي (ت: ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبدالمنعم العريان، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.

(١٠)**ابن بعرة**، منصور بن بعرة الذهبي الكاملي (ت: حوالي ١١٣٦هـ/١٧٢٤م): كشف الأسرار العملية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبدالرحمن فهمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦م.

(١١) **البكري**، عبد الله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ط١، دار الكتب العمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

(١٢) **البلاذري**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م): فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.

(١٣) **البَلَوي**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البَلَوي (ت: تقريبًا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، المكتبة العربية، دمشق- سوريا، ١٩٣٩م.

(١٤) **التّجيبي السّبتي**، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي(ت: ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م): مُستفاد الرِّحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط١، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥م.

(١٥) **ابن تغري بردي**، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري(ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

(١٦) **التنبكتي**، أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت: ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م؛ وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ٢٠٠٠م.

(١٧) **التيفاشي**، أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر ابن حمدون (ت: ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م): أزهار الأفكار في جوهر الأحجار، نشر أنطونيور راينيرى، فرنسا، ١٨١٨م.

(١٨) **الجاحظ**، أبوعثمان عمرو بن بحر الكناني البصري(ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.

(١٩) ـــــــــــ: القول في البغال، تحقيق شارل بلاَّ، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢٠) **ابن جبير**، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق علي كنعان، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٨م.

(٢١) **ابن الجيعان**، يحيى بن شاكر بن عبد الغني (كان معاصرًا لعهد السلطان قايتباي المحمودي ٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨- ١٤٩٦م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مطبوعات الكتبخانه الخديوية، المطبعة الأهلية، القاهرة، ١٨٩٨م.

(٢٢) **ابن الجوزي**، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد القرشي التيميّ (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق فادي المغربي، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م.

(٢٣) **الحسن الوزان**، الحسن بن محمد الوزّان الزياتي الفاسي(ت: حوالي ٩٠١هـ أو ٩٠٦هـ/ ١٤٩٥م أو ١٥٠٠م): وصف أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

(٢٤) **الحميري**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحميري (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢٥) **ابن حوقل**، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت: تقريبًا عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): صورة الأرض، دار صادر، بيروت ١٩٣٨م.

(٢٦) **ابن خُرداذبه**، أبو القاسم عُبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن خُرداذبه (ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٣م): المسالك والممالك، دار صادر بيروت، أفست ليدن، ١٨٨٩م.

(٢٧) **ابن خلدون**، أبو زيد وليّ الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيليّ(ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

(٢٨) **ابن خَلِّكَان**، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكَان(ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

(٢٩) **الدمشقي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت: ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط بطربورغ، ١٨٦٥م.

(٣٠) **ابن الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت: بعد ٧٣٦هـ/ ١٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أُولْرِخ هارمان، نشر عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧١م.

(٣١) **ابن رُسْتَه**: أبو علي أحمد بن عمر (ت: حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م): الأعلاق النفيسة، طبعة ليدن، ١٨٩٢م.

(٣٢) **ابن أبي زرع الفاسي**، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

(٣٣) **الزهري**، محمد بن أبي بكر الزهري الغرناطي(ت: حوالي ما بين٥٤٩- ٥٥٦هـ/ ١١٥٤م-١١٦١م): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

(٣٤) **ابن زولاق**، أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي (ت: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م): فضائل مصر وأخبارها وخواصّها، تحقيق علي محمد عمر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٣٥) **سبط ابن الجوزي**، شمس الدين يوسف بن قزغلي بن عبد الله. الإمام، الواعظ، أبو المظفر التركي البغدادي العوني:(ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد بركات وآخرين، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، ٢٠١٣م.

(٣٦) **السخاوي**، الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، التاسع، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م.

(٣٧) **ابن سعيد المغربي**، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق قرنيط خينيس، تطوان، المغرب، ١٩٥٨م.

(٣٨) ـــــــــ: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٧٠م.

(٣٩) **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن الشيخ همام الدين الخضيري (٩١١هـ/ ١٥٠٥م): التحدث بنعمة الله تعالى، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٤٠) ـــــــــ: الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو الإعراب وسائر الفنون، تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

(٤١) **أبو شامة**، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عُثمان المقدسي (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

(٤٢) **أبو صالح الأرمنى**، أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود (ت: حوالي القرن٦هـ/١٣م): تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني، تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، تحرير بي. تي. إيه. إيفيتس ، كلية ترينيتي، جامعة أكسفورد، أكسفورد، ١٨٩٣م.

(٤٣) **ود ضيف الله**، محمد نور بن ضيف الله (ت: ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م): الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، ط٣، دار جامعة الخرطوم لنشر، السودان، ١٩٨٥م.

(٤٤) **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطَّبَرِي (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٣م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر،١٩٦٧م.

(٤٥) **ابن ظهيرة**، محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن القرشي المخزومي (ت: ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.

(٤٦) **العباسي**، الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى حفيد من أحفاد الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر(ت: ٤٤٠هـ/ ١٠٤٩م): آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.

(٤٧) **ابن عبد الحكم**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١ م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٦١م.

(٤٨) **ابن عبدالظاهر**، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر السعدي المصري (ت: ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار، ط الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.

(٤٩) **ابن عذاري**، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت حوالي ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

(٥٠) **العُمريّ**، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العُمريّ (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

(٥١) ـــــــــ: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

(٥٢) **أبو الفداء**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

(٥٣) ـــــــــ: تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠م.

(٥٤) **ابن الفرات**، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي المصري (ت: ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م): تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين رزيق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢م.

(٥٥) **ابن أبي الفضائل**، مفضل بن أبي الفضائل القبطي المصري(ت: بعد ٧٥٩هـ/١٣٥٨م): النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق محمد كمال الدين، ط١، دار سعد الدين للطباعة، دمشق- سوريا، ٢٠١٧م.

(٥٦) **ابن الفقيه الهمذانى**، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمذاني (ت: ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م): مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

(٥٧) **القزوينيّ**، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): أثار البلاد وأخبار العباد، ط دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

(٥٨) **القلقشندي**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي القاهري الفزاري (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

(٥٩) **ابن كثير**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٦٠) **لسان الدين ابن الخطيب**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد السلماني الخطيب(ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق بوزياني الدراجي، ط١، دار الأمل للدراسات، الجزائر، ٢٠٠٩م.

(٦١) **مجهول**، كاتب مراكشي (توفي: خلال ق ٦هـ/ ١٢م): الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

(٦٢) **محمد بلّو**، بن عثمان بن فودي (ت ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م): إنفاق الميسور في سيرة بلاد التكرور، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٩٦م.

(٦٣) **محمود كعت**، ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني (ت: ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تحقيق: هوداس ودولافوس، أنجي بريدن، ١٩١٣م.

(٦٤) **المسعودي**، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ٱلْمَسْعُودِيّ الهُذَلي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٨٣م.

(٦٥) ـــــــــ: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٦٦) **ابن مسكويه**، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط٢، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠٠م- ٢٠٠٢م.

(٦٧) **المقدسي**، شمس الدين أبو عبدا لله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر المَقْدِسِيّ (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن، ١٩٠٦م.

(٦٨) **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق فردناد واسطون فيلد، ط جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٧م.

(٦٩) ـــــــــ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٥م.

(٧٠) ـــــــــ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

(٧١) ـــــــــ: المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٧٢) **الملطيّ**، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ القاهري (ت: ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٧٣) **ابن مماتي**، أبو المكارم الأسعد بن المُهذب بن مينا بن زكريا بن مَمّاتي (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩١م.

(٧٤) **ناصر خسرو**، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القباديانى المروزي (ت: ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م): سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

(٧٥) **النويري**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٧٦) **ابن الوردي**، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفَّر ابن أبي الفوارس المعرّي الكِندي(ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٧٧) **ياقوت الحموى**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٧٨) **اليعقوبي**، أبو العباس أحمد بن إسحٰق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صادق، المكتبة الحيدرية بالنجف، العراق،١٩٦٤م.

(٧٩) ـــــــــ: البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد أمين ضناوي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

(١) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة،١٩٧٠م..

(٢) ـــــــــ: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٣) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي ١٢٣٠م-١٤٣٠م، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ١٩٩٩م.

(٤) أحمد فخري: مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢قبل الميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٥) أغورخان دميرباش وآخرون: السودان في العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعدي، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون بإستانبول، إستانبول، ٢٠٠٧م.

(٦) بشار أكرم جميل: تاريخ الإسلام في أفريقيا، ط١، دار الفكر، الأردن، ٢٠١٤م.

(٧) جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٨) جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٩) جميس هنري برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٢٩م.

(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م.

(١١) جودة حسين جودة: جغرافيا افريقيا الإقليمية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

(١٢) جورجي زيدان: العرب قبل الإسلام، مؤسسة دار الهلال، مصر، ١٩٦٢م.

(١٣) جوزفين كام: المستكشفون في أفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

(١٤) جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

(١٥) جون ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

(١٦) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، ط دار الفكر، القاهرة، ١٩٤٩م.

(١٧) حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة– البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(١٨) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

(١٩) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢٠) حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولـة الفولاني، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

(٢١) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عهد دولة المماليك البحرية، مكتبه النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٢٢) ـــــــــ: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٢٣) ـــــــــ: الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م.

(٢٤) سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٩م.

(٢٥) سليمان أحمد حزين: حضارة مصر أرض الكنانة، ط١، دار الشروق، القاهرة،١٩٩١م.

(٢٦) سيد أحمد على الناصرى: دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢٧) السيد حنفى عوض: النوبة ومجتمع التعاون، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٢٨) سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م.

(٢٩) ـــــــــ: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

(٣٠) الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ط١، مطبعة أبو فاضل، القاهرة، ١٩٥٥م.

(٣١) ـــــــــ: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط: من القرن السابع الى القرن التاسع عشر للميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.

(٣٢) شوقي عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر ١٩٦٩م.

(٣٣) صلاح الدين الشامي: الموانئ السودانية دراسة في الجغرافية التاريخية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦١م.

(٣٤) صلاح الدين الشامي: دراسات في النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م. ـــــــــ: محاضرات في الجغرافية التاريخية، الصحاري المصرية في العصر الوسيط، مؤسسة الرياض، القاهرة،١٩٨٧م.

(٣٥) ـــــــــ: نهر النيل دراسة جغرافية تحليلية، ط٢، منشأة المعارف، الإسكندرية،١٩٩٥م.

(٣٦) عبد العال عبد المنعم الشامي: محاضرات في الجغرافية التاريخية، طريق عيذاب قوص خلال العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٣٧) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣- ١٥٩١، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١.

(٣٨) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث الين والاجتماع الأدب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٣م.

(٣٩) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان من اول القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر والاسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٩م.

(٤٠) عبد القادر مصطفى المحيشي وآخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط١، الدار الجماهيرية، ليبيا، ٢٠٠٠م.

(٤١) عبد الله حسين: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣م.

(٤٢) عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

(٤٣) علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠٠٤م.

(٤٤) فرانسيس أنفري: حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام(اليونسكو)، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، نشر جون أفريك، باريس، ١٩٨٥م.

(٤٥) كرم الصاوي: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٦م.

(٤٦) محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٤٧) محمد جمال الدين مختار: آثار النوبة ومحاولة إنقاذها، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد السابع، عام١٩٦٢م.

(٤٨) محمد عوض: السودان ووادي النيل، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م.

(٤٩) ـــــــــــ: السودان الشمالي سكانه وقبائله، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

(٥٠) محمد فؤاد شكري: مصر والسيادة عل السودان الوضع التاريخي للمسألة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٦م.

(٥١) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي: السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، دار الرائد، القاهرة، ١٩٦٦م.

(٥٢) محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ط١، طبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٥٣) مصطفى كامل عبده: حكاية مصر وبلاد السودان في العصر العثماني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٥٤) مصطفي العبادى: الحدود الجنوبية لمصر في العصرين البطلمى والروماني بين التامين والمصالح الاقتصادية والدبلوماسية الدينية، ضمن كتاب الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، إعداد عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٥٥) مصطفي محمد مسعد: المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، دار المصورات، الخرطوم- السودان، ١٩٧٢م.

(٥٦) ـــــــــــ: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.

(٥٧) مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ط٣، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١م.

(٥٨) موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مراجعة حسن حبشي وآخرون، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، ١٩٩٨م.

(٥٩) نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصري الأول١٨٢٠-١٨٢١م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة،١٩٥٧م.

(٦٠) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ط١، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٧م.

(٦١) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطي، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٦٢) هكار أوغوسطان: مونوغرافية تمبوكتو، ترجمة زوليخة بت رمضان وحسن أميلي، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ٢٠١٧م.

(٦٣) وِل وأَيزيل ديورَانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ط دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨م.

(٦٤) وليم أدمز: الممر النوبي، ترجمة محجوب التجاني، ط٢، القاهرة، عام ٢٠٠٥م.

(٦٥) ويليام ي. آدمز: النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط٢، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، السودان، ١٩٨٤م.

(٦٦) يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي١٤٥٠-١٨٢١م، ط٤، الخرطوم سوداتك المحدودة، ٢٠٠٣م.

ثالثًا- الدوريات:

(١) حمساء بنت حبيش: النشأة والتطور التاريخي، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين، ع١١، ديسمبر ٢٠٢١م

(٢) حنان عبد الرحمن التيجاني: التنافس المملوكي العثماني على ساحل البحر الأحمر١٥١٢- ١٥٦٤م، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين، ع٢، نوفمبر ٢٠٢٠م.

(٣) صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مج٤، ع٢، القاهرة، مايو١٩٥٢م.

(٤) عطية القوصي: استقرار عرب حضرموت في صحراء مصر الشرقية منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مج٧، ع٢٥، الكويت، ١٩٨١.

(٥) ــــــــــ: محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيل في القرون الأولى للإسلام، ضمن كتاب بعنوان «العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر»، إشراف رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٦) كوثر عبد الحفيظ: نهر السنغال أشهر الأنهار الأفريقية، مجلة أفريقيا قارتنا، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٨، نوفمبر ٢٠١٣م.

(٧) محمد عبدالعال أحمد: النوبة والمحاولات الاسلامية لفتحها فيما بين عامي (٢٠- ٣١هـ/ ٦٤١- ٦٥٢م)، الندوة الدولية لحوض النيل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مارس١٩٨٧م.

(٨) محمد عمراني زريفي: المقاييس في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: وحدة الذراع الشرعي أنموذجا، دورية كان التاريخية، ع٣٢، يونيو٢٠١٦م.

(٩) مصطفى محمد مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآدب، جامعة القاهرة، مج٢١، جـ٢، ديسمبر١٩٥٩م، القاهرة، ١٩٦٤م.

(١٠)ــــــــــ: معاهدة البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود، ع ٥، السعودية، ١٩٧٥م.

(١١)نعمة علي مرسي: وفد ملك النوبة إلي الخليفة المعتصم العباسي سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م وآثاره، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ع١، يناير ٢٠١٦م.

رابعًا- الرسائل العلمية:

(١) شحاته آدم محمد: الرحلات والبعثات برًا وبحرًا في مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى نهاية عهد الدولة الوسطى، رسالة دكتوراه - غير منشورة- كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٦م.

(٢) محمد أحمد عبد الكريم: النوبة من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الاخشيدي في الفترة من٢٠-٣٥٨هـ/٦٤٠-٩٦٩م، رسالة ماجستير- غير منشورة- كلية الآداب، جامعة القاهرة٢٠٠٩م.

(٣) محمد حمزة جار الله الشمري، موانئ شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري قبل الإسلام، رسالة دكتوراه- غير منشورة- كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.

خامسًا- المراجع الأجنبية:

(1) Alnaqar, Umar; Takrur the History of a Name, The Journal of African History, Vol. 10, No.3.(١٩٦٩)
(2) Arkeli., A, J: History of The Soudan form the carliest Times to 1821, London 1961.
(3) Bloss, J.F.E, the story of suakin" S. N. XX, part II, 1936.
(4) Breasted. J. H: A History of Egypt, London 1925.
(5) brothers, George Frewer, Ellen Elizabeth, 1874.&. Delafosse, Maurice: Haut Senegal–Niger, Emile Larose, paris, 1912 .
(6) C.f. Arkell: Ahistory of the Sudan form the carliest Times to 1821, London 1961.
(7) Georg, Schweinfurth: The Heart of Africa. August, 1836-1925, New York, Harper .
(8) Heinrich, BArth: Travels and discoveries in North and Central Africa, v.5 (1857-1858), Smithsonian Libraries, D. Appleton, 1858.
(9) J. W. Crowfoot: Christian Nubia, The Journal of Egyptian Archaeology, Volume AXIII, April, London, 1927.
(10) Mac Michael: H. A: A History of the Arabs in the Sudan, 2. vol5, Cambridge. 1922.
(11) Mauny, Raymond: Tableau Geographique de la oust Africain au mouyen-age, Mem de IFANB, No.61, DAKAR,1961.
(12) Mohammed Mostafa, Ziada; Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century, 1422-1517. PhD thesis, University of Liverpool, 1930.
(13) Nehemia Levtzion: Mamluk Egypt and Takrur, Studies in Islamic History and Civilization, ed, M. Sharon, Leiden: E, J. Brill, 1986.
(14) Palmer, Ignatiustexts: Travels in Kordofan; embracing a description of that province of Egypt, and of some of the bordering countries, with a review of the present state of the commerce in those countries, of the habits and customs of the inhabitants, as also an account of the slave hunts taking place under the government of Mehemed Ali,London, J. Madden and Co,1844.
(15) Paul, A.: A History of the Beja Trilxs of the Sudan, Camal, idge 1954 .
(16) Seligman: "some Aspects of The Hametc problem in the Anglo Egyptian Sudan" J. R. A. S. No 43, 1913 .
(17) Thomas,E.S: The Ancient Mine Plan of TurinPapyrus, Cairo Scientific Journal, 1913.
(18) Trimingham, J. Spenser, Islam in West Africa. London, 1959.
(19) Trimingham, j.s: Islam in the sudan, lonbon, 1949.
(20) Weigall, A. E. P.: A Report on the Antiquities of lower Nubia, Oxford, 1907.
(21) William Y,Adams: Nubia Corridor TO Africa, N.J. PRESS, 1977.